مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (٤)، ص ص ٢٧١٩ – ٢٧٥٢ (رجب ١٤٤١هـ / مارس ٢٠٢٠م)

علم الكلام الجديد في الفكر الإيراني الحديث

الدكتور ماهر بن عبد العزيز الشبل
أستاذ مساعد بقسم العقيدة والمذاهب المعاصرة، بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة القصيم
m.alshebl@qu.edu.sa

ملخص البحث.

ظهرت بوادر الدعوة إلى تجديد علم الكلام في نهاية القرن التاسع عشر الميلادي، وقد حمل راية الدعوة إلى التجديد جماعة من رواد النهضة الإصلاحية الحديثة، وكان دافعهم لذلك الحرص على عقائد المسلمين من أن يمسها شيءٌ من لوثات وشبهات الفلسفة الغربية الحديثة، فتصدوا للنوازل العقدية التي كانت نتيجة ظهور فلسفات جديدة في الفكر الغربي.

غير أن المفارقة تكمن في بروز مثقفين إيرانيين نشطوا في البحث والتأليف في مجال علم الكلام الجديد، وبعد فحصه والكشف عن بنيته ومنطلقاته فإذا به لا يمت بشعار تجديد علم الكلام عند الإصلاحيين بصلة، ذلك أن الباحثين الإيرانيين إنما قاموا باستيراد منهجيات الإلهيات المسيحية واللاهوت البروتستانتي الحديث، وفرغوه من المحتوى المسيحي وأبدلوه بالمكون الإسلامي، فسموا عملهم ذلك بـ"علم الكلام الجديد"، وقد انطلقوا من تصورات مختصة تجاه الدين، فكان عملهم بذلك إخضاع الدين لمقولات الحداثة، واستخدموا نفس الأدوات المنهجية التي استخدمها المتألهون الفلاسفة الغربيون تجاه كتابهم المقدس، والنتيجة من ذلك أن فرغوا الدين الإسلامي عن محتواه، وأضحت عقائد المسلمين وشرائعهم قابلة للتجدد والتحديث وفقاً لمتطلبات ما تنتجه الحضارة الغربية.

–

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (٤)، ص ص ٢٧١٩ – ٢٧٥٢ (رجب ١٤٤١هـ / مارس ٢٠٢٠م)

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا مُحَمَّد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد، فعلم الكلام قد ظهر مبكراً في تاريخ الأمة الإسلامية، حيث كان ظهوره لمعالجة إشكاليات طرأت على البيئة الإسلامية، واستُحدِثت مناهج وأفكار منقولة عن الفلسفات السابقة، فبرز علم الكلام لمواجهة وتصدي العقائد الدخيلة على المسلمين، وتعددت المدارس التي تتخذ علم الكلام منهجاً ومنطلقاً لها، ومع مرور الوقت تفرع الحديث والخلاف في قضايا علم الكلام، وكثرت المدونات فيه وتنوعت مناهجها وطرائقها، حتى وصل علم الكلام لمرحلة الاستقرار، بل تعدى ذلك إلى التكرار الذي لا يضيف شيئاً ذا بال، واستمر الأمر على هذه الحال قروناً طويلةً، إلى أن ظهرت بوادر المناداة بتجديد علم الكلام قبل قرن ونصف تقريباً.

إن الدعوة إلى تجديد علم الكلام أمرٌ طبيعي ومتفهم، خصوصاً بملاحظة أصل نشأة علم الكلام، والذي جاء لحل المعضلات العقدية الطارئة على البيئة الإسلامية، فالباعث في نشأة علم الكلام هو الباعث على تجديده، حيث استجدت في المسلمين معضلات فكرية وشبهات وجودية اضطرت بعض علماء ومفكري الإسلام للدعوة إلى تجديد علم الكلام؛ لمواكبة ما طرأ من قضايا ومسائل تمس العقيدة الإسلامية، فقد أكد جماعةٌ من دعاة تجديد علم الكلام على أن الباعث لذلك هو ما وقع من التطور العلمي والنهضة الغربية الحديثة، والتي بدورها أحدثت تساؤلات وإشكالات كبيرة على مستوى الأفكار والتصورات، وهو ما يسعى علم الكلام الجديد للتصدي لها.

وحيث إن الأزمة الفكرية التي يعيشها المسلمون كبيرة فقد تعددت المناهج والأساليب التي تقلدها دعاة تجديد علم الكلام من العلماء والمفكرين بمختلف اتجاهاتهم، لذا نحا بعضهم تحت غطاء تجديد علم الكلام إلى إدخال فلسفة الدين، وبعضهم أخذ الإلهيات المسيحية وفرغها عن المضمون المسيحي إلى الإسلامي، وبعضهم قصد إلى تأسيس كلام إسلامي جديد.

إن علم الكلام الجديد في الفكر الإيراني الحديث يمثل نقلةً وتحولاً منهجياً كبيراً، حيث أخذ شعار الكلام الجديد الذي كان هدفه مواجهة التحديات الفكرية التي واجهها المسلمون من قبل الغرب، ثم حرفه لهدفٍ مغايرٍ تماماً، وهو الأخذ بمنهجية الإلهيات المسيحية الحديثة واللاهوت البروتستانتي بخصوص وزرعها في البيئة الإسلامية، بعد استبدال المكون المسيحي بالمكون

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (٤)، ص ص ٢٧١٩ – ٢٧٥٢ (رجب ١٤٤١هـ / مارس ٢٠٢٠م)

الإسلامي، لذا كان لزاماً دراسة هذه الفكرة وبيان حدودها وأبعادها، ومدى اتصالها بفكرة تجديد علم الكلام عند علماء ومفكري النهضة، ببيان حقيقة علم الكلام الجديد ومسائله وأدواته المنهجية والفرق بينه وبين الكلام القديم ومدى اتصاله بالفكر الغربي.

وأشير بادئ ذي بدئ أن الموضوع بحاجةٍ إلى دراسات مستفيضة تسلط الضوء على أبعاد الكلام الجديد، وتمارس العملية النقدية لأدواته ومنهجه بشكلٍ تفصيلي، غير أني من خلال هذا البحث الموجز أردت تسليط الضوء على هذا الموضوع وبيان فكرته وبواعثه وأصوله مع النقد المنهجي على سبيل الإجمال، لعل هذا البحث يكون نواةً لدراساتٍ أكاديمية متخصصة تقوم بذلك.

* مشكلة البحث:

تتلخص إشكالية البحث في بيان المفارقة بين مفهوم تجديد علم الكلام عند مفكري الإسلام في عصر النهضة، وبين الفكر الإيراني الحديث الذي أخذ اللافتة والشعار وجيرها لمنحى مغايرٍ تماماً، وهنا تقع الإشكالية في كيفية تسلل الأفكار الغريبة عن الفكر الإسلامي ودخولها تحت شعار علم الكلام الجديد؟ وهو ما أسعى للكشف عنه –بعون الله–.

* أهداف البحث:

١– الكشف عن ماهية علم الكلام الجديد.
٢– بيان الفرق بين علم الكلام الجديد وبين علم الكلام القديم.
٣– دراسة الدواعي والبواعث التي تطلبت تجديد علم الكلام.
٤– بيان حقيقة علم الكلام الجديد في الفكر الإيراني المعاصر ومدى صلته بالفكر الغربي.
٥– الكشف عن حقيقة أفكار الحداثيين الإيرانيين ومآلاتها.

* حدود البحث:

يتناول البحث ظاهرة علم الكلام الجديد في الفكر الإيراني الحديث، سواءً كانوا من متديني الشيعة أم من حداثييهم، ودعوة تجديد علم الكلام وإن كانت تشمل عموم العالم الإسلامي، غير أن الإيرانيين قد اهتموا بها بشكلٍ كبير، وأقاموا الكثير من المؤتمرات والندوات والكتابات بشأنها، ومن هنا رأيت أهمية تخصيص البحث بهم، وهذا التحديد والحصر لا يعني عدم التطرق لغير الإيرانيين، إنما سيتم التركيز عليهم، مع الإشارة لمن وافقهم في أفكارهم أو سبقهم إليها من غيرهم؛ ليتضح مدى

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (٤)، ص ص ٢٧١٩ - ٢٧٥٢ (رجب ١٤٤١هـ / مارس ٢٠٢٠م)

ارتباطهم بمن تحدث عن تجديد علم الكلام في عموم العالم الإسلامي.

* الدراسات السابقة:

الكتابات في حقل علم الكلام الجديد متعددة ومتنوعة، وهي تصب في مساقٍ واحد وهو الدعوة إلى تجديد علم الكلام وفق نظر أصحابها، غير أن ما حداني إلى كتابة هذا البحث أني لم أجد -حسب اطلاعي- من تصدى لهذه الظاهرة في الفكر الإيراني دراسةً وتقويماً، بحيث تكون مراجعةً شاملة لما كتب في هذا الحقل، وفق مرجعيةٍ تعتمد مذهب أهل السنة والجماعة، وأرجو أن يسهم هذا البحث في سد النقص الحاصل في هذا الجانب، ويستثنى من ذلك أن شخصيةً واحدة من أعلام علم الكلام الجديد قد درست دراسةً نقدية، من خلال بحثٍ بعنوان: "المعرفة الدينية عند عبدالكريم سروش، دراسة نقدية في ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة"، وهو أطروحة ماجستير في قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة - جامعة القصيم، مقدمه من الطالب: عبد الله بن حمد الركف، وهو بحثٌ مميز وإضافة علمية مهمة في مناقشة الحداثيين الإيرانيين، غير أن الفرق بين بحثي وبحثه أنه قد درس نظرية المعرفة الدينية عند عبد الكريم سروش، وهذا الموضوع يشمل علم الكلام الجديد وغيره، فهو أقرب إلى فلسفة الدين، بينما يتركز بحثي على علم الكلام الجديد على سبيل الخصوص، ويعم دراسات الباحثين الإيرانيين في هذا الموضوع غير عبد الكريم سروش، وهم كثر، مثل: مُحَمَّد مجتهد شبستري وأحد قراملكي ومصطفى ملكيان وحيدر حب الله وغيرهم ممن خصص علم الكلام الجديد بالبحث والكتابة.

* منهج البحث:

يعتمد هذا البحث المنهج الاستقرائي، بحيث يتم استقراء ما كتب في موضوع تجديد علم الكلام من المؤلفين الإيرانيين على سبيل الخصوص، كما يعتمد البحث على المنهج التحليلي، من جانب دراسة وتحليل هذه الدعوة بمضامينها ومناهجها ونتائجها، بالإضافة إلى الكشف عن جذورها وأسسها الفلسفية، وأخيراً يعتمد البحث على المنهج النقدي، بحيث يتطرق لجوانب القصور والخلل في علم الكلام الجديد وينتقدها على سبيل الإجمال وفق مرجعية تنطلق من القرآن والسنة.

* خطة البحث:

يتضمن البحث مقدمةً وتمهيداً اشتمل على أهمية الموضوع وأسباب اختياره وأهدافه وحدوده ومنهجه، كما تضمن ستة مباحث:

- المبحث الأول: تاريخ الدعوة إلى تجديد علم الكلام.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (٤)، ص ص ٢٧١٩ – ٢٧٥٢ (رجب ١٤٤١هـ / مارس ٢٠٢٠م)

– المبحث الثاني: دواعي تجديد علم الكلام.
– المبحث الثالث: ماهية علم الكلام الجديد.
– المبحث الرابع: علم الكلام الجديد بين المسيحية والإسلام.
– المبحث الخامس: قضايا علم الكلام الجديد وأدواته المنهجية.
– المبحث السادس: الفرق بين علم الكلام القديم والجديد.
ثم الخاتمة وأبرز النتائج والفهارس.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (٤)، ص ص ٢٧١٩ – ٢٧٥٢ (رجب ١٤٤١هـ / مارس ٢٠٢٠م)

– المبحث الأول: تاريخ الدعوة إلى تجديد علم الكلام.

إن ظهور علم الكلام في العالم الإسلامي كان نتيجة نشوء مسائل وقضايا استجدت في حياة المسلمين، فالعوامل السياسية والاقتصادية والاجتماعية بدورها كانت مؤثرةً في موضوعات علم الكلام، وتبعاً لذلك فالمفترض مسايرة علم الكلام لما يستجد ويحدث من قضايا تطرأ على العالم الإسلامي، غير أن الذي وقع في التاريخ الإسلامي شيءٌ من الجمود والرتابة والتوقف عند قضايا معينة، دون تطويرٍ يذكر في الجوهر والمضمون، فمر علم الكلام بعد ظهوره ونشاطه بمرحلة الاستقرار والركود، وظل على ذلك قروناً طويلة، ولا غرو في ذلك، إذ كان ركود علم الكلام في سياق ركود جملة العلوم الإسلامية، وما احتف بها من ظواهر الجمود والتقليد[(١)]، ومع مرور الوقت والتطور الكبير الذي حصل في الغرب نتيجة بروز الفلسفة التجريبية وظهور المخترعات الحديثة تولد عن ذلك نشأة مذاهب وفلسفات غربية حديثة تطرح أسئلة وشبهات جديدة على مستوى القضايا الوجودية وتمس العقائد الدينية بعموم، فهذا هو عامل النشأة لانبثاق علم الكلام الجديد[(٢)]، وقد أجاب الباحث حيدر حب الله عن سؤال النشأة على سبيل التحديد بأنه (في هذا السياق يأتي مشروع علم الكلام الجديد، والذي جرى ويجري التركيز عليه في المحافل الفكرية والدينية المعاصرة، لا سيما في العقد الميلادي الأخير، إذ يحاول هذا المشروع أن يضع حداً لحالات الركود التي سيطرت على الدراسات الكلامية في القرون الأخيرة، ويعيد بعث النتاج الكلامي من جديد ضمن آليات عمل متناغمة مع تطورات المعرفة الإنسانية، خصوصاً الحاصلة بفعل تأثيرات العاصفة الغربية التي ضربت العالم من أقصاه إلى أقصاه، وذلك بهدف تحقيق التنمية الفكرية لهذا العلم، ووضعه في سياقه المناسب له فعلاً)[(٣)].

واستجابةً للظروف الحديثة قام جماعةٌ من العلماء والمفكرين المعاصرين بالكتابة في موضوع علم الكلام الجديد، ومن أوائل من كتب فيه وكان له كتاباً موسعاً فيه هو شبلي النعماني الهندي، وفي مطلع كتابه وضح الباعث له على الخوض في تجديد علم الكلام، فقال: (لقد كانت المخاطر التي واجهت الإسلام في زمن الدولة العباسية لا تقارن بمثيلتها في العصر

---

(١) انظر: تمهيد لدراسة علم الكلام الجديد د. عبد الجبار الرفاعي، ضمن علم الكلام الجديد مدخل لدراسة اللاهوت الجديد وجدل العلم والدين، إعداد وتحرير د. عبد الجبار الرفاعي، دار التنوير للطباعة والنشر – مركز دراسات فلسفة الدين، الطبعة الأولى ٢٠١٦م، ص٨–٩، ١٩–٢٠.

(٢) انظر: مدخل إلى علم الكلام الجديد، مُحَمَّد مجتهد شبستري، دار الهادي، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ، ص٥٨.

(٣) علم الكلام الجديد قراءة أولية لحيدر حب الله ص١٠، ضمن العقلانية الإسلامية والكلام الجديد، مجموعة من الباحثين، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، الطبعة الأولى ٢٠٠٨م.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (٤)، ص ص ٢٧١٩ - ٢٧٥٢ (رجب ١٤٤١هـ / مارس ٢٠٢٠م)

الحاضر، حيث انتشرت العلوم الغربية في كل بيت، وعمت الحرية جوانب العالم، ففي العصور الأولى لم يكن قول الحق سهلاً إلى هذا الحد مثل سهولة قول الزور في هذه الأيام، وانتشرت الأفكار الدينية عموماً، وأخذ المتعلمون الجدد يشعرون بالرهبة، وكان قدامى العلماء يطلون برؤوسهم أحياناً من كوة العزلة فيجدون أفق الدين ملبداً بالغبار، وظلت النداءات تنبعث من كل جانب مطالبةً بأهمية وجود علم الكلام الجديد، وقد سلم الجميع بهذه الأهمية، لكنهم اختلفوا بالنسبة إلى الأصول، فتنادى جماعة المتعلمين الجدد بضرورة أن يقوم علم الكلام الجديد على أصول جديدة تماماً؛ لأن نوعية الانتقادات التي كانت توجه ضد الإسلام في العصور السالفة تغيرت أشكالها في العصر الحديث، ففي العصور الأولى كانت مواجهة فلسفة اليونان قائمةً على مجرد قياسات وظنون، بينما هي اليوم قائمةٌ على التجربة والبديهيات؛ ولهذا لا يمكن أن نقابلها بالقياسات العقلية والاحتمالات والظنون)[٤]، هكذا صور النعماني الحالة التي كان يعيشها رواد علم الكلام في عصره، غير أنه يثبت تحفظه على الإطلاقات المرسلة التي تدين علم الكلام القديم، مقرراً أن بعض قضاياه صحيحة ومفيدة في وقتها وحتى العصر الراهن.

وبشكلٍ مجمل يمكن أن يقال أن الدور الذي قام به النعماني يعد سبقاً في الإشارة إلى أهمية تجديد علم الكلام ومواكبته التطورات الحديثة ولفت الانتباه إلى ذلك، غير أنه خاض بعيداً فيما لم يحقق هدفه من تجديد علم الكلام، حيث فصَّل في نشأة علم الكلام وطبيعة الصراع الواقع بين الفرق الكلامية، والمسائل الدائرة في كل قرن، وطبيعة العلاقة بين المتكلمين والفلاسفة، وأطال في هذا الصدد من غير تحقيق، ثم عقد جزءاً آخر للحديث عن الكلام الجديد، وطريقته في ذلك أنه يأخذ المسائل الكبار في علم الكلام كقضية وجود الله مثلاً، فيعرض رأي الاتجاه الفلسفي فيها ثم معارضة المتكلمين لهم، ثم يناقش المسألة وفق المنظور القرآني، مدللاً ومناقشاً باستحضار ما استجد في العلم الحديث ومشاهدات علماء الغرب، ثم يذكر بعض الاعتراضات الإلحادية ويجيب عليها[٥].

وفي هذا الجزء الذي عقده للكلام الجديد يبين أن الكلام القديم كان منصباً على بحث العقائد فحسب، بينما الكلام الجديد يفترض أن يبحث في الجوانب التاريخية والحضارية والأخلاقية للدين، ويريد من ذلك أنه في العصور الحديثة اعترض المستشرقون على الإسلام بشبهات تتعلق بجوانب الأحوال الشخصية مثل تعدد الزوجات والطلاق والرق ومسائل الجهاد

---

(٤) علم الكلام الجديد، شبلي النعماني الهندي، ترجمة وتقديم جلال السعيد الحفناوي، مراجعة السباعي مُحَمَّد السباعي، المركز القومي للترجمة، الطبعة الأولى ٢٠١٢م، ص١٦، وقد نشر هذا الكتاب عام (١٩٠٣م) باللغة الأردية، ثم ترجم بعد ذلك.

(٥) انظر: المصدر السابق ص٢٠٠-٢٢٢.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (٤)، ص ص ٢٧١٩ - ٢٧٥٢ (رجب ١٤٤١هـ / مارس ٢٠٢٠م)

ونحوها، ومن دور الكلام الجديد أن يضطلع بالرد على شبهات المستشرقين ويفندها(٦)، وهنا نلاحظ أنه يعني بذلك الشريعة الإسلامية بعموم، والتركيز على القضايا التشريعية التي تعرضت للتشويه من قبل المستشرقين والسعي إلى عقلنتها، وليس كما هو معروف ومتوارد عليه بأن علم الكلام يبحث في العقائد فحسب.

كما يمكن عدّ عمل مُحَمَّد إقبال في كتابه تجديد الفكر الديني في الإسلام من أوائل المحاولات في تجديد علم الكلام(٧)، والذي كتبه مستحضراً إشكاليات الفلسفة الغربية الحديثة، وداعياً إلى تجاوز الخلافات الكلامية العقيمة، ومبيناً أن عقلنة الإيمان لا تعني تفوق الفلسفة على الدين، وركز في كتابه على إذكاء روح التجربة الدينية، والتي تعني (في أساسها حالةً شعورية ذات جانب إدراكي، لا يمكن نقل مضمونه إلى الغير إلا في صورة حكم)(٨)، وقد ألمح إقبال في مطلع كتابه إلى أساس المشكلة التي استدعت تجديد الفكر الديني، وهو الركود الذي جثم على الفكر الإسلامي طيلة الخمسة القرون الأخيرة، وأن الثقافة الأوروبية الحديثة قد أسرت عموم المسلمين، وأشار إلى بعض النظريات الغربية مثل نظرية أنشتاين والرؤية الجديدة للكون التي أتى بها، وتتالياتها في إشكاليات العلاقة بين الدين والفلسفة، الأمر الذي يحتم على الجيل المسلم الجديد تكييفاً جديداً لعقيدتهم(٩).

وفي هذا السياق يعد الباحثون رسالة الرد على الدهريين لجمال الدين الأفغاني من أوائل الكتابات في تجديد علم الكلام، باعتباره ناقش إشكالات حديثة تخص نظرية داروين، حيث قام الأفغاني بمناقشتها في رسالته.

وهكذا نلاحظ أن الدعوة إلى تجديد علم الكلام ظهرت بوادرها في نهاية القرن التاسع عشر الميلادي ومطلع القرن العشرين الميلادي، تزامناً مع صعود الفلسفة الحديثة وفشو الثقافة الغربية في أوساط المسلمين، كما نلاحظ أيضاً أن الدور الذي قام به رواد النهضة لا يخرج عن إطار التصدي للأفكار الحديثة ومجابهتها، وهو الدور الرئيسي الذي اضطلع به علم الكلام منذ نشأته مدافعاً عن العقائد الدينية والرد على شبهات المخالفين -كما يصورونه-، ثم سنلاحظ كيف تطورت الفكرة إلى منحنى آخر عند المفكرين الإيرانيين.

---

(٦) انظر: المصدر السابق ص١٨١-١٨٢.

(٧) انظر: جدل السياسة والدين والمعرفة، مُحَمَّد بوهلال، جداول للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ٢٠١١م، ص٤٥.

(٨) تجديد الفكر الديني في الإسلام، مُحَمَّد إقبال، ترجمة مُحَمَّد يوسف عدس، تقديم الشيماء الدمرمداش العقالي، دار الكتاب المصري - دار الكتاب اللبناني، الطبعة الأولى ١٤٣٢-١٤٣٣هـ، ص٥٢.

(٩) انظر: المصدر السابق ص٢٣-٢٥.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (٤)، ص ص ٢٧١٩ - ٢٧٥٢ (رجب ١٤٤١هـ / مارس ٢٠٢٠م)

- المبحث الثاني: دواعي تجديد علم الكلام.

من خلال المبحث السابق عرفنا تاريخ ظهور فكرة الكلام الجديد والباعث الذي ألحّ على العلماء والمفكرين في إنشاء علم كلام جديد، وهو الظرف والسياق الذي أحاط بالمسلمين نتيجة المخترعات الحديثة، وما ولدته من أسئلة وإشكالات تمس العقائد الدينية، يقول وحيد الدين خان: (ولذلك علينا أن نأتي بعلم كلامٍ جديد؛ لمواجهة تحدي العصر الحديث)[١٠]، غير أن هذا لم يكن السبب الوحيد الذي دعا لتجديد علم الكلام، بل قد كان للمفكرين الإيرانيين جملةً من المؤاخذات والملاحظات على علم الكلام القديم أرادوا من خلال الكلام الجديد تجاوزها، بعضها وجيه ويتفق معهم فيها أهل السنة والجماعة، وبعضها واقعة تحت سطوة الحداثة الغربية، وهي مجموعة ملاحظات يتفاوت الباحثون في تحديدها، لكن أغلبهم يشيرون إلى جملةٍ منها:

١- هيمنة المنطق الأرسطي:

العداء بين المتكلمين والفلاسفة مستفيضٌ ومشهور، غير أن المتكلمين رغم عدائهم للفلاسفة إلا أنهم قد قبلوا بالمنطق الأرسطي، وتعاملوا معه كمسلمات أساسية في البحث الكلامي، بحيث يستحيل الانفكاك عنه، فاستعملوا القياس الصوري بأشكاله وأضرابه كقوالب أساسية في الاستدلال على المقولات الكلامية، وقد ألمح الطبطبائي إلى هذه المشكلة المتجذرة في الفكر الكلامي، مبيناً أن المتكلمين (أخطأوا في استعماله[١١] فجعلوا حكم الحدود الحقيقية وأجزائها مطرداً في المفاهيم الاعتبارية، واستعملوا البرهان في القضايا الاعتبارية التي لا مجرى فيها إلا القياس الجدلي، فتراهم يتكلمون في الموضوعات الكلامية كالحسن والقبح والثواب والعقاب والحبط والفضل في أجناسها وفصولها وحدودها، وأين هي من الحد؟ ويستدلون في المسائل الأصولية والمسائل الكلامية من فروع الدين بالضرورة والامتناع، وذلك من استخدام الحقائق في الأمور الاعتبارية، ويبرهنون في أمورٍ ترجع إلى الواجب تعالى بأنه يجب عليه كذا ويقبح منه كذا، فيحكِّمون الاعتبارات على الحقائق ويعدونه

---

(١٠) الإسلام يتحدى، مدخل علمي إلى الإيمان، وحيد الدين خان، ترجمة ظفر الإسلام خان، مراجعة وتقديم د. عبد الصبور شاهين، دار كتاب المختار الإسلامي، الطبعة الثامنة ١٩٨٤م، ص٢٢.

(١١) يعني المنطق.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (٤)، ص ص ٢٧١٩ – ٢٧٥٢ (رجب ١٤٤١هـ / مارس ٢٠٢٠م)

برهاناً، وليس بحسب الحقيقة إلا من القياس الشعري)[١٢].

فالمقصود أن المنطق الأرسطي قد سيطر على المدونة الكلامية، بحيث لا يمكن إقامة المسائل والحجج إلا وفق منظومة منطق أرسطو، وواقع الحال أن البيئة الغربية التي احتضنت منطق أرسطو قرون طويلة قد تخلت عنه حينما ظهر الأرغانون الجديد لفرانسيس بيكون، واستبدل الغرب المنطق الصوري بالمنطق التجريبي، بل تنوعت المناهج في المنطق، وظهر المنطق الرياضي والرمزي وغيره، في حين ظل المتكلمون متمسكين بالمنطق الأرسطي، وهذا ما جعل وحيد الدين خان يشدد النكير على الكلام القديم، يقول: (إن أسلوب البحث المنطقي القديم قد فقد وزنه في العصر الحاضر، فالمنطق القديم يقوم على قياسات عقلية، بينما يقوم المنطق الحديث –الرائج في هذا العصر– على العلم الذي يثبت الآراء بالوقائع وبالتحليل التجريبي، أما الكتب التي تدرس في المدارس الدينية فهي قد ألفت في ضوء المنطق القديم، ويشرحها الأساتذة ويدرسها الطلبة في ضوء ذلك المنطق البائد، ولذلك يتخرج من هذه المدارس العلماء الذين يكونون غرباء على زمنهم فكراً ومنهجاً واستدلالاً، إنهم غير قادرين على إقناع إنسان العصر بدينهم منطقياً وعلمياً رغم تسلحهم بالأسلحة المنطقية التي تدربوا عليها في مدارسهم)[١٣].

واللافت حين الكلام عن المنطق أن أصحاب الكلام الجديد يجعلون مُحَمَّد عبده من رواد تجديد علم الكلام، وذلك لوضعه رسالة التوحيد[١٤]، وهي في حقيقتها إعادة نشر وترتيب للمذهب الأشعري بثوبه الاعتزالي المتأخر، سوى أنه رتب المسائل بناءً على أهميتها ووزنها في نظر الفكر المعاصر، تخلل ذلك لغة سهلة تناسب شرائح واسعة[١٥]، والمفارقة هنا تكمن في أنه لم يضف جديداً لعلم الكلام، كما أنه كرس المنطق الصوري التقليدي مع أنه كان في وقتٍ انتشر فيه المنطق التجريبي، فقد اطلع على كتاب البصائر النصيرية في علم المنطق للساوي وأعجب به أيما إعجاب، ووضع عليه الشروح والتعاليق، وجعله مقرراً على طلاب الأزهر[١٦]، فكان عمله بذلك تكريساً للمنطق الصوري في واقع الدراسات الكلامية المعاصرة.

---

(١٢) الميزان في تفسير القرآن، السيد مُحَمَّد حسين الطبطبائي، صححه وأشرف على طباعته حسين الأعلمي، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، الطبعة الأولى ١٩٩٧م، ٢٨٦/٥.

(١٣) تجديد الدين، وحيد الدين خان، ترجمة د. ظفر الإسلام خان، دار الصحوة للنشر والتوزيع، ١٩٩٨م. ص٤٦.

(١٤) انظر: الاجتهاد الكلامي د. مُحَمَّد عمارة ص١٣٩، ضمن الاجتهاد الكلامي مناهج ورؤى متنوعة في الكلام الجديد، مجموعة من الباحثين، دار الهادي.

(١٥) انظر: قولٌ في التجديد، د. حسن الشافعي، مجلس حكماء المسلمين – دار القدس العربي، الطبعة الأولى ١٤٣٧هـ، ص٨٥–٨٦.

(١٦) انظر: البصائر النصيرية في علم المنطق، عمر بن سهلان الساوي، شرح وتعليق مُحَمَّد عبده، ضبط وتقديم د. عبد الأمير الأعسم، دار

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (٤)، ص ص ٢٧١٩ - ٢٧٥٢ (رجب ١٤٤١هـ / مارس ٢٠٢٠م)

٢- غياب المضمون الأخلاقي:

المباحث النظرية المتعلقة بالعقائد تنتمي وفق التصنيف الفلسفي إلى الحكمة العلمية أو النظرية، بينما ينتمي مبحث القيم والأخلاق للحكمة العملية، وعلى ذلك فإن علم الكلام لم يشمل سائر أقسام الحكمة، والشاهد على ذلك؛ الخلاف الدائر بين المتكلمين في مسألة الحسن والقبح؛ فالمعتزلة يجعلونه عقلي والأشاعرة يجعلونه شرعي، إلا أنهم لم يبحثوا من خلال ذلك في ماهية القيم الأخلاقية، ولا شرح مصادر الإلزام الخلقي، أو الحديث عن مباحث الفضيلة والسعادة ونحوها من المباحث الخلقية والتي سبق وأن بحثها الفلاسفة، فبالرغم من اطلاع المتكلمين على الفلسفة وتأثرهم ببعض قضاياها إلا أنهم لم يتناولوا الأخلاق رغم أهميتها وتوكيد القرآن عليها(١٧).

ولذلك سعى بعض دعاة تجديد علم الكلام إلى الاهتمام بالأخلاق وإدخالها ضمن البحث الكلامي وإفراد المؤلفات المتخصصة فيها، ومن هؤلاء على سبيل المثال مرتضى مطهري، والذي اعتنى بفلسفة الأخلاق بشكلٍ كبير، وهو ينطلق في العناية بها من جهة أن ختم الرسل يعني إمكانية وجود قيم لا تقبل التغيير في مضمون رسالتهم، فالمبحث الأخلاقي عنده يكتسب أهميته من هذه الجهة، فسعى مطهري لإثبات وجود قيم ثابتة في الأخلاق، وما يصبو إليه في خاتمة البحث الأخلاقي هو الوصول إلى إثبات حاجة الإنسان إلى المعنويات، ومن هناك إلى إثبات الدين والأحكام الدينية، فهو المدخل المناسب للحديث عن الأزمات المعنوية(١٨).

٣- الجمود على الطبيعيات الكلاسيكية:

استند علم الكلام في مقدماته على نظريات طبيعية كلاسيكية، كالكلام في الجواهر والأعراض والجزء الذي لا يتجزأ ونحوها من المقدمات التي تتصدر المدونات الكلامية، والتي يعنونون لها بالأمور العامة، وفي ظل تقدم العلوم والمكتشفات نسخت العلوم الطبيعية الحديثة كثيراً من الموروثات الطبيعية السابقة، وقامت البراهين الثابتة بأدوات التجربة والملاحظة على الإتيان بطبيعياتٍ حديثة، والمفترض في علم الكلام إذا كان يستند في مقدماته على القضايا الطبيعية أن يحدثها وفق ما قام

الفكر اللبناني، الطبعة الأولى ١٩٩٣م، ص٢١ الحاشية (١).

(١٧) انظر: تمهيد لدراسة علم الكلام الجديد د. عبد الجبار الرفاعي، ضمن علم الكلام الجديد مدخل لدراسة اللاهوت الجديد وجدل العلم والدين، إعداد وتحرير د. عبد الجبار الرفاعي ص٣٨.

(١٨) انظر: اتجاهات الفكر الديني المعاصر في إيران، مجيد مُحَمَّدي، ترجمة ص.حسين، مراجعة صادق العبادي، المعهد العالمي للفكر الإسلامي - الشبكة العربية للأبحاث والنشر، الطبعة الأولى ٢٠١٠م، ص١٤٧-١٥١.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (٤)، ص ص ٢٧١٩ - ٢٧٥٢ (رجب ١٤٤١هـ / مارس ٢٠٢٠م)

العلم الحديث باكتشافه(١٩).

٤- فقدان قيمة الإنسان:

كان البحث في المدونات الكلامية منصباً على الإله وأدلة وجوده وما يستحقه من الصفات وما يمتنع عليه، ويتفرع الكلام طويلاً في هذا السياق، بينما تنطلق مدونات علم الكلام الحديث من الإنسان وتأصيل الموقف النظري الذي يحدد قيمته وموقعه بين المخلوقات، والهدف من وجوده وحقوقه وما يتصل بهذا الشأن، وهذا الجانب قد تنامى مع تطور الحياة الاجتماعية وأضحى ملحاً بدرجةٍ كبيرة(٢٠)، لذا فالفرق بين الكلام القديم والجديد من هذه الزاوية أن القديم إلهي المحور، بينما الجديد إنساني المدار، فالقديم كان يبدأ بالحديث عن الله ووجوده وصفاته، في حين تنطلق الإلهيات الحديثة من الإنسان ابتداءً وما يخص البحوث الإنسانية لتلج من خلالها إلى بحوث الدين(٢١).

من خلال الملاحظات السابقة التي أبداها المتكلمون الإيرانيون الجدد حول الكلام القديم يظهر أن بعض هذه الملاحظات قد سُبقوا إليها، مثل نقد المنطق الأرسطي، حيث كان في التاريخ الإسلامي عدة مشاريع نقدية للمنطق الصوري، وأبرزها النقد العميق الذي قام به ابن تيمية، ومثل قضية المقدمات الكلامية المعتمدة على القضايا الطبيعية فقد سبق أن ناقشها جماعة من الفلاسفة والمتكلمين، غير أن المتكلمين الجدد لهم غرض من الكلام على الطبيعيات سيتبين في المبحث السادس -إن شاء الله-.

وثمة ملاحظات أبداها المتكلمون الجدد على الكلام القديم مثل غياب المضمون الأخلاقي وفقدان قيمة الإنسان، فهذه الملاحظات هي في حقيقتها ناتجة عن النظرة الحداثوية للدين وإرادة إخضاع الدين لمقولات الحداثة، فالمرتكزات الأساسية للحداثة تقوم على العقلانية والإنسانية، فالانطلاق من الإنسان وجعله محور الكون هي الفكرة التي كرسها فيورباخ، فيضع التناهي بدلاً من الإطلاق، وإحلال الأنثربلوجيا محل اللاهوت(٢٢)، وبذلك لم يعد للإله دور في العالم، وفي هذه الحال بإمكان

---

(١٩) انظر: تمهيد لدراسة علم الكلام الجديد د. عبد الجبار الرفاعي، ضمن علم الكلام الجديد مدخل لدراسة اللاهوت الجديد وجدل العلم والدين، إعداد وتحرير د. عبد الجبار الرفاعي ص٤١.

(٢٠) انظر: المصدر السابق ص٢٩.

(٢١) انظر: ما يعد به علم الكلام الجديد مصطفى ملكيان ص٤٦٢، ضمن علم الكلام الجديد مدخل لدراسة اللاهوت الجديد وجدل العلم والدين، إعداد وتحرير د. عبد الجبار الرفاعي.

(٢٢) انظر: الفلسفة الألمانية في القرن العشرين لفرنر شنيدرس، ترجمة محسن الدمرداش، المشروع القومي للترجمة، الطبعة الأولى ٢٠٠٥م،

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (٤)، ص ص ٢٧١٩ – ٢٧٥٢ (رجب ١٤٤١هـ / مارس ٢٠٢٠م)

الإنسان الاستغناء عن الدين.

وإذا ما أردنا فحص دقة هذه الملاحظات وانطباقها على الكلام القديم فإن ما ذكره الإيرانيون في هذا الصدد هو مجرد ترديد للشعارات الحداثية، وإلا فالمتن الكلامي الكلاسيكي قد حوى أبواباً كاملة تخص الإنسان وما يحتف به من أحكام، في مسائل الإيمان والقدر ونحوها(٢٣)، كما أن هذا النقد لا يتوجه لعلم الكلام المعني بشؤون العقائد فحسب، خصوصاً إذا اعتبرنا أن التراث الإسلامي مليء بالمصادر التي اعتنت بالجانب الأخلاقي والإنساني، وأكتفي بمثال واضح على ذلك، وهو المتكلم الأشعري الراغب الأصفهاني في كتابه تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين، والذي أدار كتابه حول الإنسان، وكذلك كتابه الذريعة إلى مكارم الشريعة، وهو الكتاب المختص بتأصيل النظرية الخلقية في الإسلام.

– المبحث الثالث: ماهية علم الكلام الجديد.

بعد أن أخذنا لمحةً حول تاريخ البحث في الكلام الجديد ودواعي التجديد والتي ينطلق من خلالها غالب دعاة تجديد الكلام نصل إلى تحديد ماهية علم الكلام الجديد، وهنا نقف عند مفترق طرق، حيث يختلف الباحثون في هذه النقطة تحديداً، والنقاش لا يزال إلى اليوم دائراً في تحديد كنه الكلام الجديد، فبعض الباحثين يقيّم المشهد العلمي بأن الباحثين توزعوا على سبيل الإجمال إلى ثلاث اتجاهات؛ فالبعض كان فيلسوفاً دينياً، بمعنى أن فلسفة الدين هي الموضوع الحقيقي لبحوثهم، والبعض خاض في الإلهيات المسيحية الحديثة تحت مظلة علم الكلام الجديد، وبعضهم استقل عن الاتجاهات السابقة ليحمل همَّ تأسيس كلام إسلامي جديد(٢٤).

والبعض ينظر إلى الكلام الجديد أنه لا يعني سوى إضافة بعض المسائل الجديدة واستيعابها ضمن المنظومة الكلامية التراثية، وهو الرأي الذي يتبناه المحافظون من المتكلمين سواءً من الشيعة كجعفر السبحاني أو الأشاعرة أو مفكري النهضة

ص٢٧.

(٢٣) في هذا المقام لست بصدد تزكية علم الكلام القديم أو تنزيهه، وإنما الشأن في المناقشة الموضوعية لهذه الملاحظات التي ادعاها المتكلمون الإيرانيون الجدد.

(٢٤) انظر: أزمنة الكلام الجديد في إيران د. أحد قراملكي ص٢٩٧-٢٩٨، ضمن الاجتهاد الكلامي مناهج ورؤى متنوعة في الكلام الجديد.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (٤)، ص ص ٢٧١٩ – ٢٧٥٢ (رجب ١٤٤١هـ / مارس ٢٠٢٠م)

ونحوهم، بينما يذهب آخرون إلى أن التجديد في علم الكلام يشمل العلم برمته؛ فهو تجديدٌ في المسائل والأهداف والموضوعات واللغة والمباني والغايات والهندسة المعرفية، وهو ما يتبانه الحداثيون من الشيعة الإيرانيين كمحمد مجتهد شبستري وعبد الكريم سروش، ومن العراقيين عبد الجبار الرفاعي وباحثون كثر في هذا المجال(٢٥)، ويعبر عن الاتجاه الأخير بالهندسة المعرفية للكلام الجديد، وهذا التعبير يرمي إلى التأكيد على عدم حصر التجديد في إطار المسائل الذي يعتبر أحد الأضلاع المعرفية، بل يتجاوز ذلك ليشمل كلية الكلام بوصفه نظاماً معرفياً(٢٦).

وعلى ما سبق ينحى بعضهم إلى التفريق بين مصطلحي تجديد علم الكلام وعلم الكلام الجديد، بحيث يكون الأول هو نفس علم الكلام في المنظومة التراثية مضافاً إليه بعض المسائل الجديدة الحادثة، بينما الثاني لا يقتصر على إضافة مسائل فقط وإنما الدور المناط به هو التجديد على مستوى الأهداف والمنهج والموضوعات(٢٧).

إن الاتجاه الذي يسعى لتجديد الكلام على مستوى الأهداف والمسائل والغايات هو في حقيقته يكشف عن طبيعة التداخل بين علم الكلام الجديد وبين فلسفة الدين، بل إن كمال الحيدري له نظرة في مناهج الحوزات العلمية الشيعية ولزوم تطويرها، ومن الجوانب التي تطرق إليها عدم الخوض في تفاصيل المسائل الكلامية التقليدية والاهتمام بالقضايا المعرفية الأوسع التي تدخل في إطار فلسفة الدين، وهو بنظره علم الكلام الجديد(٢٨).

ومن المعلوم أن فلسفة الدين فرع معرفي جديد نشأ في الغرب، وكمصطلح يعتبر إضافةً جديدة للمعجم الفلسفي، ويعتبر الفيلسوف كانط هو أول من تطرق له في كتابه "الدين ضمن حدود العقل وحدها"، وتعني فلسفة الدين على سبيل التقريب البحث في موضوعات الدين من خارج أطره العقائدية التسليمية، بمعنى النظرة الخارجية للدين بغية فحص المقولات الدينية،

---

(٢٥) انظر: تمهيد لدراسة علم الكلام الجديد د. عبد الجبار الرفاعي، ضمن علم الكلام الجديد مدخل لدراسة اللاهوت الجديد وجدل العلم والدين، إعداد وتحرير د. عبد الجبار الرفاعي ص٤١-٤٢.

(٢٦) انظر: الهندسة المعرفية للكلام الجديد، د. أحد قراملكي، ترجمة حيدر نجف وحسن العمري، مراجعة عبد الجبار الرفاعي، دار الهادي، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ، ص١٣.

(٢٧) انظر: إشكالية التسمية لعلم الكلام الجديد د. نوال طه ياسين، مجلة أبحاث البصرة – العلوم الإنسانية، مجلد ٣٦، عدد ٢، جامعة البصرة – كلية التربية للعلوم الإنسانية، ٢٠١١م، ص٤٠٥.

(٢٨) انظر: حوارات في التجديد المنهجي للدراسات الحوزوية كمال الحيدري، بواسطة الدرس العقدي المعاصر، قراءة تحليلية للدرس العقدي عند السلفية والأشعرية والشيعة، عمرو بسيوني، مركز نماء للبحوث والدراسات، الطبعة الأولى ٢٠١٥م، ص٥٠٥.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (٤)، ص ص ٢٧١٩ – ٢٧٥٢ (رجب ١٤٤١هـ / مارس ٢٠٢٠م)

وتنحصر مجالاته في أربعة ميادين: البراهين الوجودية لإثبات وجود الله، واللاهوت الفلسفي المعتني بالترابط المنطقي ووصف طبيعة الإله، والمعرفة الدينية المتعلقة بإمكان الاستدلال العقلي على الدين، واللغة الدينية وتحليل المصطلحات اللاهوتية(٢٩)، فالمقصود من ذلك أن هذا الفرع المعرفي الجديد في الغرب وجد صداه في العالم الإسلامي تحت مسمى الكلام الجديد.

وامتداداً لتأثر بعض المسلمين لما يقع في الغرب فقد جعل بعض الباحثين علم الكلام الجديد هو الإلهيات المسيحية الحديثة، ذلك أنه مواكبةٌ لما وقع من التطور العلمي في الغرب فقد تطورت الدراسات اللاهوتية المتعلقة بالنصرانية؛ سواءً في الإلهيات الكاثوليكية أو البروتستانتية، والتي تعني إعادة بناء الفكر الديني وفق المتغيرات العلمية الحديثة، وتبعاً لذلك يقول مصطفى ملكيان: (إن ما نطلق عليه اليوم في إيران اسم الكلام الجديد هو بالضبط الإلهيات المسيحية الجديدة، مع قليلٍ من الجرح والتعديل الرامي إلى مطابقتها مع العقيدة الإسلامية)(٣٠).

يظهر مما سبق أن تجديد علم الكلام ما هو إلا صدى لما يقع في الغرب، وتبعاً لذلك فهو مجرد شعار تمرر من خلاله المفاهيم الغربية الحديثة المتعلقة بفلسفة الدين والإلهيات المسيحية الحديثة، ذلك أنه لا تمايز بين هذه المصطلحات وبين علم الكلام الجديد في واقع الأمر، فالكلام الجديد يتمدد ويتحرك بحسب كل مفكر بما يتأثر به من فروع الفلسفة الغربية، فتجد أحدهم متأثراً بالفلسفة الوجودية فيركز على الجانب الأخلاقي، وآخر متأثر بالفلسفة التحليلية فيميل إلى النزعة العقلانية، وهكذا فلا وجود للاستقلالية والإبداع التي يدعيها دعاة التجديد.

– المبحث الرابع: علم الكلام الجديد بين المسيحية والإسلام.

أود التذكير في مطلع هذا المبحث بالدور الذي قام به مارتن لوثر في الديانة النصرانية، وما تلا ذلك من نشوء مذهب جديد هو مذهب البروتستانت، والذي تقوم فكرته على رفض الهيمنة الكنسية في شتى مجالاتها، سواءً في فهم الكتاب المقدس، أو في امتلاك حق إصدار صكوك الغفران والحرمان، وغيرها، وامتداداً لهذه النزعة التحررية عن قبضة الدين فقد نشأت في القرنين الأخيرين حركات يقوم عليها لاهوتيون وفلاسفة لإعادة تفسير الدين وتشكيله وفق معطيات العصر

---

(٢٩) انظر: فلسفة الدين، مارتن.و.ف.ستون، ترجمة سهيل نجم، مراجعة وتقديم أ.م.د. علي عبود المحمداوي، صفحات للدراسات والنشر – دار ومكتبة قناديل للنشر والتوزيع، الطبعة الولى ٢٠١٧م، ص١٠-١٤.

(٣٠) الكلام الجديد في إيران مصطفى ملكيان ص١٢٨، ضمن الاجتهاد الكلامي مناهج ورؤى متنوعة في الكلام الجديد.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (٤)، ص ص ٢٧١٩ - ٢٧٥٢ (رجب ١٤٤١هـ / مارس ٢٠٢٠م)

الحديث، ذلك أنه بعد أن ظهرت الفلسفة الحديثة والمنهج التجريبي وما تلا ذلك من نجاحات على صعيد العلوم الطبيعية والمكتشفات الحديثة آمن العقل الغربي بصدق هذا المنهج، وراح يتهم الدين بأنه سبب تخلف البيئة الأوربية طيلة القرون الوسطى، ومن ثم تنحى الدين عن مركزيته التي تبوأها في القرون الوسطى وصار في الهامش في ظل الفلسفة الحديثة، وعند ذلك أحس اللاهوتيين بالأزمة الخطيرة التي وقع فيها الدين، ومن هنا ظهرت فكرة الإلهيات الجديدة التي تسعى إلى جعل الدين متصالحاً مع الفكر الحديث، خصوصاً وأن الدين لديهم قد تعرض لممارسات تأويلية على عدة مستويات منذ زمن بعيد، فالديانة النصرانية أشبه بالنص المفتوح يفهمه كل صاحب فكرة بحسب قبلياته، وهنا نشأت فكرة اللاهوت البروتستانتي الحديث الذي يمزج بين العنصر الديني والعنصر الفلسفي للخلوص إلى نتيجة متوافقة مع العلمانية والليبرالية ومختلف منتجات الحداثة.

إن هموم الحفاظ على الطابع الديني للعصر دفعت المتأله المسيحي تجاه عصرنة الدين، وأصبح السؤال الملح عنده كيف يمكن عرض التعاليم الدينية في العصر الحاضر، بحيث تحفظ قدسيته ونقاءه من جانب، وتكون مقبولةً في العالم المعاصر من جانبٍ آخر؟ وكان الجواب أنه يمكن أن يتم ذلك عبر إعادة بناء الفكر الديني في المسيحية، وهو ما حتمته التحولات الكبرى التي شهدها الغرب في قرونه الأخيرة(٣١).

وقد وجدت هذه الفكرة الغربية من يتلقى صداها في البيئة الإسلامية، خصوصاً عند المفكرين الإيرانيين، وقد أوضح مُحَمَّد مجتهد شبستري أهمية هذه الفكرة، وأنها جاءت لبيان المشكلة التي وقع فيها المسلمون أو الكاثوليك أو البروتستانت في سبيل مواجهة ظروف العصر الحديث، وكيف سيفسرون دينهم ويحافظون على إيمانهم في عصر الحداثة، حيث لا مرجعيات ولا تجارب قدرية؟ فالإنسان الغارق في قعر الحداثة لا يعرف شيئاً اسمه مرجعيات، إنه يقف أمام خيارٍ مطلق تماماً، وفي الوقت ذاته يريد أن يقول إنه مسلم أو كاثوليكي أو بروتستانتي، وهنا ينبثق لدى الإلهيات الجديدة قراءات مختلفة للتراث الديني بغية حل هذه الإشكالية.

فالإنسان المتدين في العصر الحديث ليس باستطاعته قبول الحداثة بنحوٍ مطلق، ولا رفضها بنحوٍ مطلق كذلك؛ لأنه يعيش داخلها، وهو بصورةٍ عامة إنسانٌ حداثي في وعيه وفكره، فإذا ما أراد رفض الحداثة بالمطلق كان عليه رفض نفسه، وهذا

---

(٣١) انظر: الهندسة المعرفية للكلام الجديد د. أحد قراملكي ص١٥١-١٥٢، ومدخل إلى علم الكلام الجديد لمحمد مجتهد شبستري ص٦٢-٦٣.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (٤)، ص ص ٢٧١٩ – ٢٧٥٢ (رجب ١٤٤١هـ / مارس ٢٠٢٠م)

ما يستدعي الاغتراب عن الذات، كما لا يمكنه في الوقت نفسه قبول الحداثة مطلقاً؛ وذلك لرفضها جميع المرجعيات، وتضع الإنسان حيال الخيار المطلق، وهنا يصل شبستري إلى أن جهود إعادة التشكيل الديني في العالمين المسيحي والإسلامي استهدفت الحفاظ على الانتماء للإسلام أو المسيحية داخل الوعي الحداثي(٣٢).

وعلى سبيل الإجمال فإن ما حصل في العالم المسيحي وانقسامه حيال المأزق الحداثي قد حصل مثله في العالم الإسلامي، ففي المسيحية ثمة اتجاهٌ يؤكد ضرورة تجاهل الخلفيات الفكرية للإنسان المعاصر، والتي بدورها أفرزتها الفلسفات والأفكار الحديثة، وفي الوقت ذاته تستمر عرض الدعوة المسيحية والمسائل الكلامية بنفس المفاهيم والتصورات الميتافيزيقية الكلاسيكية، وتأسيساً على ما سبق يتحفظ أصحاب هذا الاتجاه عن الولوج في شيءٍ من الفكر الحديث؛ لما يؤدي إليه من خسارة وفقدان المفاهيم الرئيسية، ويغلب على هؤلاء أن يكونوا من الكاثوليك. وفي المقابل نجد غالب المتكلمين المسيحيين اليوم، والبروتستانت منهم على سبيل الخصوص(٣٣) ينحون إلى الأخذ بالخلفيات الفكرية والذهنية والشخصية للإنسان الغربي المعاصر، حتى ولو كانت هذه الخلفيات علمانية، بحيث تكون معتبرة ومستقلة، شأنها شأن العلم والفلسفة والدين، حيث يشدد هؤلاء على أن عالم الأفكار والممارسات اليوم متعدد الأقطاب، والذهنية الغربية لا تقبل برسم صورة أحادية عن العالم، فالدين بناءً على هذه الرؤية مجرد عنصر بين سائر العناصر، يأخذ حيزه المقدر له بإزاء بقية العناصر المتفاعلة في واقع اليوم، وينتهي اللاهوت البروتستانتي من هذا إلى أن عرض الحقيقة المسيحية يجب أن يأخذ بهذه الاعتبارات، وينظر إلى التطور العلمي بأنه واقعٌ حلّ بمنهج التفكير الإنساني، ولا بد من أخذه بمحمل الجد، ومن هنا نشأت الإلهيات المسيحية الحديثة على أساس هذه المرتكزات، وهي دائمة التجدد والتطور بحسب المقتضيات، ثم يختم شبستري عرضه السابق إلى انحيازه لهذا الاتجاه، ويقول ما نصه: (وبوسعنا نحن المسلمين النهل من الطرائق والأساليب والنظريات التي اصطنعها هذا الفريق المسيحي الثاني لمواجهة الفكر الحداثي)(٣٤).

---

(٣٢) انظر: تأملات في القراءة الإنسانية للدين، مُحَمَّد مجتهد شبستري، ترجمة حيدر نجف، مراجعة عبد الجبار الرفاعي، دار التنوير للطباعة والنشر – مركز دراسات فلسفة الدين، الطبعة الأولى ٢٠١٤م، ص٣٣-٣٤.

(٣٣) الحركة العقلانية تتمثل في البروتستانت بالمقابلة مع الكاثوليك، بيد أن أكثر التغييرات التي جرت بفعل النزعة العقلانية في الكنائس البروتستانتية لم تحدث إلا خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر. انظر: تشكيل العقل الحديث، كرين برينتون، ترجمة شوقي جلال، مراجعة صدقي حطاب، عالم المعرفة، ١٤٠٥هـ، ص٩٦.

(٣٤) الهرمنيوطيقا الكتاب والسنة، مُحَمَّد مجتهد شبستري، ترجمة حيدر نجف، مراجعة عبد الجبار الرفاعي، مركز دراسات فلسفة الدين، دار التنوير

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (٤)، ص ص ٢٧١٩ – ٢٧٥٢ (رجب ١٤٤١هـ / مارس ٢٠٢٠م)

مما سبق يلاحظ مدى إيمان أصحاب فكرة علم الكلام الجديد باللاهوت البروتستانتي الحديث، وأنه هو الخيار المتحتم على واقع المسلمين، بحيث لا يمكن لهم العيش في الوسط الحداثي دون إعادة فهمهم للدين وفقه، لذا يقول شبستري: (لو أردنا قراءة تراثنا الديني عصرياً، فيجب أن نستخدم المناهج ذاتها التي وفرها لنا الغربيون، واستخدموها في دراساتهم الاجتماعية والثقافية والتاريخية والدينية)[٣٥]، كما يلحظ أيضاً مدى الانهزامية التي وقع فيها هؤلاء، فالمسلم المعاصر وإن كان يعيش داخل المنظومة الحداثية إلا أن ذلك لا يعني قبوله بكل ما تأتي به الحداثة، خصوصاً وأنها منظومة تحمل رؤى ومفاهيم تعبر عن الإنسان الغربي المتفلت من الدين، فالحداثة ليست منهجاً محايداً حتى يمكن القول بلزوم القبول بكل ما فيها، بل المسلم المعاصر بإمكانه الإفادة من منتجات الحداثة بما لا يتعارض مع دينه، وعليه السعي والمقاومة لما يتعارض مع دينه، انطلاقاً من سنة المدافعة بين الحق والباطل، والتي هي سنة كونية إلى قيام الساعة.

وفي هذا المقام أود تسليط الضوء إجمالاً على فكرة اللاهوت البروتستانتي المعاصر، والذي تمثله مجموعة من اللاهوتيون والفلاسفة باستخدام بعض أدوات الفلسفة الوجودية والظاهراتية، ومن أولئك بولتمان وباول تيليش وغيرهم، والفكرة لديهم تدور حول تبرير المسيحية وإثباتها بمقولات الحضارة، ومن منطلق احتياجاتها، ومن منظور إشكالاتها، بحيث يمكن الوقوف على الحدود بين العقيدة المسيحية وبين الحضارة العلمانية المعاصرة، وهنا يعلن باول تيليش أن هدفه إقامة الجسور بينهما، كي تصب التقاليد المسيحية الروحية الخصيبة في قلب الحضارة المعاصرة[٣٦].

وتتلخص رسالة باول تيليش أحد أبرز اللاهوتيين الجدد في تحديث اللاهوت، والتعبير عن العقيدة المسيحية تعبيراً جديداً مصوغاً وفقاً لتقاليد ومصطلحات الفكر الغربي الحديث، بحيث يحافظ على جوهر الديانة المسيحية، وفي الوقت نفسه يجعلها معقولة وملائمة تماماً لإنسان هذا العصر ولأزمته الراهنة[٣٧].

كما يوافق تيليش على هذه الرؤية لكن من مدخلٍ آخر فيلسوف التأويل بول ريكور، والذي يرى بدوره أن تأويل الكتاب المقدس هو في الوقت نفسه توسيعٌ لمعناه؛ لأنه معنىً مقدس، ثم إدماج ما تبقى من الثقافة الدنيوية مع هذا الفهم[٣٨].

للطباعة والنشر، الطبعة الأولى ٢٠١٣م، ص٢١٨.

(٣٥) تأملات في القراءة الإنسانية للدين ص٤٣.

(٣٦) انظر: الوجودية الدينية، دراسة في فلسفة باول تيليش، د. يمنى طريف الخولي، دار قباء للطباعة والنشر، ١٩٩٨م، ص٨٩.

(٣٧) انظر: المصدر السابق ص٩٥.

(٣٨) انظر: الهرمينوطيقا الفلسفية وهرمينوطيقا النص الديني عند بول ريكور، مصطفى العارف، مؤمنون بلا حدود، الطبعة الأولى ٢٠١٨م،

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (٤)، ص ص ٢٧١٩ – ٢٧٥٢ (رجب ١٤٤١هـ / مارس ٢٠٢٠م)

إن تأسيس علم الكلام من جديد وفقاً لمعطيات الفكر الغربي الحديث لا تفرق بين المعطيات والدواعي الموجودة في البيئة الغربية والتي تحتف بالديانة النصرانية وبين الإسلام، بل إنها تغفل الفروق الموضوعية الشاسعة بينهما، وهذا ما يصرح به د. حسن حنفي، حيث يزعم أن (اللاهوت قادر على الاستجابة لمتطلبات كل عصر، فاللاهوت كالأيديولوجية السياسية وكالمذهب الفلسفي، وتستطيع الذاكرة أن تقوم بإعادة البناء هذه بما لديها من رصيدٍ تاريخي طويل، ولا فرق في ذلك بين المسيحية وسائر الأديان في ضرورة إعادة البناء طبقاً لحاجات العصر)(٣٩).

هكذا نجد أصحاب الكلام الجديد يصرحون باستمداد فكرتهم من الإلهيات المسيحية، وأنه لا فرق بين الإسلام والنصرانية في الأخذ بهذا اللاهوت الجديد، بل يزعم الباحث الإيراني أحد قراملكي أن المتكلم الجديد سيستفيد كثيراً باستلهامه مناهج المتألهين المسيحيين، يقول: (إن التضلع في تجارب المتألهين المسيحيين في مواجهتهم للمسائل الجديدة، والتبحر في أساليبهم وحلولهم للمعضلات الجديدة، وإمعان النظر في مستويات نجاحهم، ونقاط الخلل والقوة في آرائهم، هي بمثابة أدوات مفيدة جداً للمتكلم المعاصر، بل وضرورة حتمية لاستكمال مقوماته العلمية)(٤٠).

لقد كان الاحتكاك المباشر بين بعض المفكرين الإيرانيين بالبيئة المسيحية ورموز اللاهوت المسيحي الحديث أكبر الأثر في إحداث القناعة لديهم بمدى أهمية مناهج اللاهوت البروتستانتي الحديث ونقلها على علاتها إلى الإطار الإسلامي، وفي ذلك يذكر محمد مجتهد شبستري الأثر الكبير الذي أحدثه له مكوثه في ألمانيا مدة عشر سنوات، حيث تعرف عن قرب على الثقافة والحضارة الغربية، ودراسة وضع المسيحية والتأمل فيها من خلال المعايشة، وقد حكى قصته في هذا الصدد، وذكر بأنه بعد أن أتقن اللغة الألمانية أكثر من قراءة الفلسفة الغربية، واهتم باللاهوت المسيحي على سبيل الخصوص(٤١).

ولذلك لا غرابة أن يشيد فلاسفة الغرب بهذه الشخصيات، فقد وصف هابرماس عبد الكريم سروش بأنه قائد الثورة البروتستانتية في الإسلام، حيث قام بدمج مسارات الفلسفة الإسلامية مع فلسفة وعلم الاجتماع الغربيين، فلقبه الغربيون

ص٣١٥.

(٣٩) تقديمه لكتاب الوجودية الدينية دراسة في فلسفة باول تيليش د. يمنى طريف الخولي ص١٤.

(٤٠) الهندسة المعرفية للكلام الجديد ص١٦٧.

(٤١) انظر: مدخل إلى علم الكلام الجديد ص٥٦، ومعنى المعنى حوار مع محمد مجتهد شبستري ص٢١، ضمن مجلة قضايا إسلامية معاصرة، مجلة متخصصة تعنى بالهموم الفكرية للمسلم المعاصر، السنة الثامنة عشرة، العدد ٥٩-٦٠، ٢٠١٤م، رئيس التحرير د. عبد الجبار الرفاعي، مركز دراسات فلسفة الدين – بغداد.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (٤)، ص ص ٢٧١٩ - ٢٧٥٢ (رجب ١٤٤١هـ / مارس ٢٠٢٠م)

بـ"لوثر الإسلام"، حيث كان ديدنه مصالحة الإسلام مع الأفكار الغربية الحديثة(٤٢).

- المبحث الخامس: قضايا علم الكلام الجديد وأدواته المنهجية.

أود في هذا المبحث تسليط الضوء على القضايا التي يتناولها علم الكلام الجديد، وكيف تتم معالجتهم لها، والأدوات المنهجية التي يستخدمونها في التجديد، وذلك بحسب ما وضعه أصحابه ودونوه في أطروحاتهم، بحيث يتسنى لنا معرفة مرادهم على وجه الدقة، ولفهم فكرتهم بشكلٍ أفضل نسلط الضوء على الغاية التي من أجلها راموا تجديد علم الكلام، حيث ذكروا كما سبق أن الإنسان المتدين في عصر الحداثة منغمسٌ فيها ولا يستطيع الفكاك عنها، وفي الوقت ذاته لا يرغب التخلي عن الدين بشكلٍ كامل، فالحل حينئذٍ يكون بتحديث المقولات والعقائد الدينية بما يتوافق مع العصر الحديث، وهنا يوضح مُحَمَّد مجتهد شبستري الغاية من الكلام الجديد على سبيل التحديد بأنه يسعى إلى إزالة التعارض وعدم الانسجام المشهود بين النظريات العلمية والفلسفية من جهة، وبين معطيات الدين واجتهادات الفكر الديني من جهةٍ أخرى(٤٣)، وفي موضعٍ آخر يصرح بأن (الهدف هو الحيلولة دون أن يصبح التراث الديني عائقاً في طريق الحياة العصرية، وأن تسطع حقيقة التراث الديني كوحيٍ جديد)(٤٤).

أما عن الأداة المنهجية التي تستخدم للوصول إلى هذه الغاية فهي أداة الهرمنيوطيقا، والتي تعني حسب المعجم الفلسفي تفسير أو تأويل النصوص فلسفيةً كانت أم دينية، وتطلق بنحوٍ خاص على تفسير الكتاب المقدس(٤٥)، كما يعرفها بول ريكور بأنها (نشاط فكري يقوم على أساس تفكيك رموز المعنى المختفي في المعنى الظاهر، والكشف عن مستوى الدلالات الضمنية في الدلالات اللفظية)(٤٦)، وفي اللاهوت المسيحي يشير مصطلح الهرمنيوطيقا إلى ذلك الجزء من الدراسات اللاهوتية المعني

---

(٤٢) انظر: فلسفة الدين في فكر عبد الكريم سروش د. عامر عبد زيد، ضمن كتاب فلسفة الدين، مقول المقدس بين الإيديولوجيا واليوتوبيا وسؤال التعددية، مجموعة مؤلفين، إشراف وتحرير د. علي عبود المحمداوي، منشورات ضفاف، منشورات الاختلاف، دار الأمان، الطبعة الأولى ١٤٣٣هـ، ص٤٢٩.

(٤٣) انظر: مدخل إلى علم الكلام الجديد ص٦٨.

(٤٤) تأملات في القراءة الإنسانية للدين ص٢٢.

(٤٥) انظر: موسوعة لالاند الفلسفية، أندريه لالاند، دار عويدات، ٢٠١٢م، ٥٥٥/٢.

(٤٦) الهرمنيوطيقا وعلم التفسير لمحمد بهرامي ص٣٨، بواسطة ظاهرة التأويل الحديثة في الفكر العربي المعاصر، دراسة نقدية إسلامية، د. خالد

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (٤)، ص ص ٢٧١٩ – ٢٧٥٢ (رجب ١٤٤١هـ / مارس ٢٠٢٠م)

بدراسة النصوص الدينية بطريقةٍ خيالية ورمزية تبعد عن المعنى الحرفي والسطحي المباشر، وتحاول اكتشاف المعاني الحقيقية والخفية للنصوص المقدسة(٤٧).

ويشير شبستري إلى أن العالم المسيحي المعاصر وقف إزاء الكتاب المقدس على ثلاثة أنماط لتفسيره، منها القبليات الفلسفية الهرمنيوطيقية، ورأى أنها هي المنهج المناسب تطبيقه في العالم الإسلامي، فالهرمنيوطيقا هي الأداة المنهجية لتأسيس الكلام الإسلامي الجديد، أما الأداتان الأخريان فإحداهما تعتمد على القبليات الفلسفية لمدرسة فرانكفورت، والأخرى تعتمد على القبليات الفلسفية للمدرسة الوضعية والوضعية المحدثة(٤٨).

كما يزعم شبستري أن الهرمنيوطيقا أداة لتحصين التراث الديني وإثرائه، وليست حيلةً لإقصائه، فيقول: (ويعلم من له أدنى معرفة بالدراسات الهرمنيوطيقية الفلسفية والدينية في العصر الحديث أن استخدامها في علم اللاهوت والمعارف الدينية يقصد منه إحياء الحقيقة الدينية والإبقاء عليها، من دون نبذها أو تغييبها)(٤٩)، لذا نجده ينتقد من يمنع الهرمنيوطيقا، ويصف من زعم بأن الهرمنيوطيقا الفلسفية حجر عثرة في طريق الأديان، وصد أتباع الديانات عن الرجوع إلى كتبهم المقدسة = بالتهافت، وأنه قولٌ يشي بعدم الاطلاع على التيارات الفكرية واللاهوتية المسيحية في العصر الحاضر(٥٠).

ومن هذا المنطلق ينتقد الحوزات العلمية، ويرى أنه لا بد من تجديدها وتحديثها لتتبوأ مكانةً مناسبة بين الثقافات، وأهم وسائل تحديث الحوزة يتم من خلال استخدام الهرمنيوطيقا، وعلى ذلك فـ(إن رفع لواء الهرمنيوطيقا الفلسفية، والدعوة إلى تأسيس هرمنيوطيقا دينية إسلامية، هي عين الإخلاص لثقافة المسلمين، وإسداء الخدمة لها)(٥١).

وأشير في هذا المقام إلى الأصول الفلسفية التي تأثر بها متأخرو الشيعة، والتي بدورها تسهم في فتح المجال للهرمنيوطيقا، وهي العرفان الإشراقي، حيث إن المتكلمين الإيرانيين الجدد قد تأثروا بالفلسفة الإشراقية والعناصر الغنوصية، وقد أفاض عبد

السيف، مركز التأصيل للدراسات والبحوث، الطبعة الأولى ١٤٣١هـ، ص٢٨.

(٤٧) انظر: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، نموذج تفسيري جديد، عبد الوهاب محمد المسيري، دار الشروق، الطبعة الأولى ١٩٩٩م، ٨٨/١.

(٤٨) انظر: تأملات في القراءة الإنسانية للدين ص١٠٤.

(٤٩) المصدر السابق ص٢١.

(٥٠) انظر: المصدر السابق ص١٩.

(٥١) المصدر السابق ص٢٣.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (٤)، ص ص ٢٧١٩ – ٢٧٥٢ (رجب ١٤٤١هـ / مارس ٢٠٢٠م)

الكريم سروش بذكر تأثره بالتراث الصوفي الفلسفي، حتى إنه ليصح القول إن سروش قد خرج من عباءة العرفان الصوفي لكن بثوبٍ علماني، وعليه فالتأويل الغنوصي هو في حقيقة الأمر مفتاحٌ لاتساع الدلالة والمعاني التي تقبل كل شيء(٥٢)، لذا لا غرو أن نجد أصحاب الكلام الجديد يرفعون شعار الهرمنيوطيقا ويتمسكون بها كأداةٍ منهجية(٥٣).

وفي سبيل تقديم مثال على كيفية تناول علم الكلام الجديد لمسائل الاعتقاد ذكر شبستري أن علماء الكلام الأوائل حينما استدلوا على وجود الله استخدموا حزمةً من المفاهيم ومقولات الفلسفة الأولى، وقدموا لذلك بعدة مقدمات من قبيل الوجوب والإمكان والجوهر والعرض ونحوها، بينما ينطلق الكلام الجديد استدلالاً على وجود الله من خلال التجربة الدينية، وذلك انطلاقاً من اعتبار أن الله وفيض الله هي مسائل تجريبية، بمعنى التجربة الداخلية لا الحسية(٥٤)، وهذه الفكرة الجوهرية التي تعتبر مفتتح العقائد في إثبات وجود الله قد استوردها علم الكلام الجديد من الفيلسوف الألماني كانط، ذلك أن كانط قد استعرض الأدلة العقلية على وجود الله وانتقدها كلها، ورأى عدم إمكان قيام الدلالة العقلية على وجود الله، بناءً على أن حدود المعرفة العقلية لا تجاوز المحسوس، لكنه خلص إلى إثبات وجود الله من خلال الدليل الأخلاقي(٥٥).

أما عن الناحية اللغوية فإن أصحاب الكلام الجديد يرون أن لغة الدين لغة تفسيرية وتاريخية ونقدية؛ تفسيرية بمعنى أن نصوص الدين إشارات وظواهر تستدعي من المتلقي الفهم والتفسير، أما تاريخية فهي إشارة إلى أنه إذا كان الإنسان موجوداً تاريخياً فكل معارفه تاريخية، وإذا كان وجوده تاريخياً فيتحقق وجوده بوجود المستقبل، والمستقبل يتحقق بوجود الماضي، وبعبارةٍ أوضح أن لكل إنسان أفقاً تفسيرياً، وعالماً مفهوماً ومحيطاً يفهم الظواهر في إطاره، فإذا سُلب منه عالمه وبيئته لم يعد قادراً على الفهم، وبما أن هذه العوالم تاريخية فالفهم تاريخي أيضاً، ومعنى كون لغة الدين نقدية أنها غير قطعية وقابلة للنقد، والمحصلة من هذا أنه لا يوجد رأي نهائي وقطعي في قضايا الدين؛ لأن الخطاب الديني يجد معناه في نهاية الأمر عبر الارتباط بالله، فلا

---

(٥٢) انظر: المعرفة الدينية عند عبد الكريم سروش، دراسة نقدية في ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة، عبد الله الركف، رسالة ماجستير – جامعة القصيم، ١٤٣٧هـ، ص٢٥٢.

(٥٣) في الحقيقة الحديث عن الهرمنيوطيقا ودلالاتها المختلفة ونقدها بحاجة إلى مجالٍ أوسع، وأكتفي بالإحالة إلى بعض المراجع التي نقدتها وبينت مآلاتها، انظر: العلمانيون والقرآن الكريم، د. أحمد الطعان، مكتبة ودار ابن حزم للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ١٤٢٨هـ، ص٦٧٣، وظاهرة التأويل الحديثة في الفكر العربي المعاصر د. خالد السيف ص٣٢٦.

(٥٤) انظر: مدخل إلى علم الكلام الجديد ص٦٤-٦٥.

(٥٥) انظر: تاريخ الفلسفة الغربية، برتراند رسل، ترجمة د. مُحَمَّد فتحي الشنيطي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠١٢م، ٣/٢٧٨-٢٧٩.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (٤)، ص ص ٢٧١٩ - ٢٧٥٢ (رجب ١٤٤١هـ / مارس ٢٠٢٠م)

وجود لفتوى قطعية ولا مقولة أو نظرية عقائدية نهائية، وإنما نعيش مساراً تفسيرياً دائماً[٥٦].

ومن زاوية العلوم الطبيعية كالفلك مثلاً، فقد وردت في النصوص والكتب المقدسة أفكار حول طبيعة السماوات والأرض، في حين ظهر في علم الفلك الحديث نظريات أخرى، كذلك مثلاً في العلم الحديث يتم تصور العالم وفق النظام العلي المغلق الذي لا مجال فيه للثغرات، بينما يتحدث الدين عن المعجزات وخوارق العادات كالسحر والكرامات، أيضاً في الدراسات السيكيلوجية والسسيلوجية المعاصرة يتم الحديث عن العاطفة الدينية وأنها ضربٌ من الاغتراب عن الذات، في حين يؤكد أصحاب الأديان فكرة فطرية الدين، وهكذا تتنوع المسائل المندرجة تحت الكلام الجديد، ويعمها السؤال المركزي في كيفية التصرف حيال التعارض والتنافر الجلي بين النظريات العلمية الفلسفية من جهة وبين الدين من جهةٍ أخرى[٥٧].

إن النظرة التحليلية لمسائل علم الكلام الجديد تتيح تقسيمها على سبيل الإجمال إلى قسمين:

١- مسائل ليس لها جذور في الكلام التقليدي، وإنما هي وليدة العصر الحاضر بالكامل، كبحوث خلق الإنسان الأول، وعلم نفس الدين، وعلم اجتماع الدين، والدين والعلوم الطبيعية، والدين والحداثة، والدين والديموقراطية، ونحوها.

٢- مسائل كلامية جديدة ذات أصول في علم الكلام القديم، لكن يتم طرحها من قبل علماء الكلام الجديد المعاصرين بتوجهات حديثة، فتظهر بصيغة مختلفة عما كانت عليه في السابق، وربما يصدق وصف أنها تشترك مع الكلام القديم في العناوين والألفاظ ليس إلا، ومن ذلك مسائل تحليل القضايا الكلامية، ولغة الوحي، والجبر والاختيار، والإيمان، ونحوها[٥٨].

نلاحظ مما سبق أن المسائل التي يبحثها علم الكلام الجديد لا تنضبط وفق إطارٍ معين، ولا تلتزم بالإطار العقائدي لعلم الكلام، لذا فحقيقة أمر الكلام الجديد أنه لم يقم إلا باستجلاب أفكار الإلهيات المسيحية الحديثة ومباحث فلسفة الدين في الغرب وتعريبها وتعزيزها بالأمثلة الإسلامية، كما يلحظ الخلط بين مبحثي اللاهوت البروتستانتي الحديث وبين فلسفة الدين، وعلى هذا فالكلام الجديد لا يمت لعلم الكلام القديم بصلة، ومباحثه عائمة، فليس له مفهوم أو دلالة محددة، كما أنه ينطلق من فرضيةٍ مسبقة، وهي الحكم بالتعارض الحقيقي بين نتائج العلم الحديث والدين.

---

(٥٦) انظر: مدخل إلى علم الكلام الجديد لشبستري ص١٣٤-١٤٧.

(٥٧) انظر: الهرمنيوطيقا الكتاب والسنة لمحمد مجتهد شبستري ص٢٠١-٢٠٢.

(٥٨) انظر: الهندسة المعرفية للكلام الجديد د. أحد قراملكي ص١٩٣-١٩٤.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (٤)، ص ص ٢٧١٩ - ٢٧٥٢ (رجب ١٤٤١هـ / مارس ٢٠٢٠م)

- المبحث السادس: الفرق بين علم الكلام القديم والجديد.

لكي يبرز أصحاب الكلام الجديد أفكارهم التي يدعون إليها وأنها متصلة بالدين والعقائد وأنهم داخل دائرة الدين وامتداد لعلم الكلام بصيغة مطورة، يذكرون مناهجهم وأهدافهم في الكلام الجديد على سبيل المقارنة بينه وبين الكلام القديم، حتى يبدو للناظر في أول وهلة أنهم داخل النسق الديني، وأنهم امتداد للمتكلمين الأوائل لكن بنسخةٍ جديدة، ومجمل هذه الفروق كالتالي:

١- من ناحية الأهداف فإن علم الكلام القديم غايته الدفاع عن العقائد، والشاهد على ذلك تعريفات أئمة الكلام لعلمهم، كما يقول ابن خلدون عن الكلام أنه (علمٌ يتضمن الحجاج عن العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية، والرد على المبتدعة المنحرفين في الاعتقادات عن مذاهب السلف وأهل السنة)[٥٩]، فالكلام القديم ذو ماهيةٍ دفاعية، بينما الكلام الجديد هدفه أوسع من مجرد الدفاع، بل هو يسعى إلى التفاعل مع الواقع المعاصر، وعدم اتخاذ موقع الدفاع فحسب، فالكلام الجديد يسعى إلى بناء نظام متناسق لمجموعة تعاليم النصوص المقدسة والدين[٦٠].

ولمناقشة هذه النقطة لا بد من بيان أن علم الكلام لم ينشأ إلا للقضايا العقدية تأصيلاً ورداً على المخالفين، لذا فالخروج به عن وظيفته الأساسية إنشاء لأمرٍ جديد لا يمت لعلم الكلام بصلة، وتسميته علم كلام تلبيس وإيهام، حتى لو أضيف إليه "الجديد".

٢- من ناحية المنهج فإن الكلام القديم أحادي المنهج، ذلك أنه يعتمد على المنهج العقلي، وفي بعض أجزائه يعتمد على المنهج النقلي، أما الكلام الجديد فهو متعدد المناهج، ذلك أن المناهج قد تطورت واتسعت بشكلٍ كبير، فالكلام الجديد يستند في كثيرٍ من الحالات إلى الأساليب والأدلة التجريبية، كما أنه يفيد من الأدلة التاريخية والشهودية، فهو أوسع وأثرى من الكلام التقليدي من ناحية المنهج[٦١].

---

(٥٩) المقدمة، ابن خلدون، تحقيق د. علي عبد الواحد وافي، مكتبة نهضة مصر، الطبعة الرابعة ٢٠٠٦هـ، ٩٦٦/٣، وانظر: المواقف في علم الكلام، الإيجي، تحقيق د. عبد الرحمن عميرة، دار الجيل، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ، ص٧، ونشر الطوالع، المرعشي، تحقيق محمد يوسف إدريس، دار النور المبين، الطبعة الأولى ١٤٣٢هـ، ص٣٤.

(٦٠) انظر: الكلام الجديد في إيران لمصطفى مليكان ص١٨٣، ضمن علم الكلام الجديد من إعداد وتحرير عبد الجبار الرفاعي.

(٦١) انظر: المصدر السابق ص١٨٤.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (٤)، ص ص ٢٧١٩ – ٢٧٥٢ (رجب ١٤٤١هـ / مارس ٢٠٢٠م)

وقد تكلم العلماء كثيراً في مناقشة المنهج العقلي المعتمد في علم الكلام، وبينوا الأخطاء واللوازم الفاسدة المترتبة على اعتماده، أما أن الكلام الجديد متعدد المناهج فإن هذا لا بد أن يربط بعدم المعارضة للمنهج الأساسي وهو المنهج النقلي المعتمد على الكتاب والسنة، ثم يلي ذلك الإفادة من كافة المناهج ما لم تعد إلى مصادر الاستدلال المعتمدة عند أهل السنة والجماعة بالإبطال، وهذا ما يميز المنهج المعرفي في الإسلام أنه ثري ومتنوع غير متعارض؛ لاستناده إلى أُس العلوم وأساسها وهو الوحي.

٣- من الناحية الواقعية فإن علم الكلام القديم كان يركز على مسائل الإلهيات والأمور الأخروية، ويفتقد للحديث عن الإنسان واحتياجاته وهمومه، بينما الكلام الجديد ينزع إلى العلمانية والدنيوية، بحيث يركز رجاله على منافع الدين وضروراته الدنيوية، فبدلاً من التطرق إلى ما يفعله الدين بحياة الناس بعد الموت، سيتناول الكلام الجديد ما يقدمه الدين لحياة الناس الحالية، فإذا وفَّى الدين بوعوده النقدية المعجلة فسيفي بوعوده الفرضية المؤجلة، وهذا هو معنى أن يكون علم الكلام الجديد دنيوياً[٦٢].

وقد سبق الإشارة إلى أصل الإشكال لدى المتكلمين الجدد والقضية المركزية المسيطرة على مشروعهم، وهي إخضاع الدين لمقولات الحداثة، وللحداثة خصائص ومواقف مهمة تمثل تحولاً جوهرياً عما كان عليه الفكر الغربي في القرون الوسطى قبل الحداثة، وهي الإيمان بالعالم الطبيعي، والنظر إلى الدنيا لا على أنها عالمٌ حقير زائل، أو أنها مجرد جسر للجواز من خلالها إلى العالم الآخر، بل للعالم الطبيعي الدنيوي وجودٌ خاص به خليقٌ بالعناية والاهتمام على سبيل الاستقلال، ومن خصائص الحداثة النزعة الإنسانية، بمعنى الإيمان بالإنسان وأنه أهم كائن، وهو معيار الأشياء جميعاً، ومن خصائص الحداثة أيضاً العقلانية، وأن العقل ميزة الإنسان ومصدر تفوقه وتفرده، كما أن العقل هو الأداة التي يتوصل بها إلى الحقيقة[٦٣].

إن نزعة الأنسنة التي تقلدها المتكلمون الجدد هي في حقيقتها فكرةٌ مستوردة من الفكر الحداثي، فقد اعتبر فيورباخ أحد رواد الحداثة أن الإنسان حينما يتحدث عن الله فهو في الحقيقة يتحدث عن نفسه؛ لأن الآلهة ما هي إلا تجسيدٌ لرغبات الإنسان، والاعتقاد بالله نتيجة ضعف الإنسان وفقره، لذا يلجأ إليه دائماً في أوقات المحن، وإلا لو كان قوياً لما احتاج إلى الله

---

(٦٢) انظر: ما يعد به علم الكلام الجديد مصطفى ملكيان ص٤٦٦-٤٦٧، ضمن علم الكلام الجديد مدخل لدراسة اللاهوت الجديد وجدل العلم والدين، إعداد وتحرير د. عبد الجبار الرفاعي.

(٦٣) انظر: الحداثة، دفاتر فلسفية نصوص مختارة، إعداد وترجمة مُحَمَّد سبيلا وعبد السلام بنعبد العالي، دار توبقال للنشر، الطبعة الثالثة ٢٠٠٨م، ص١١.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (٤)، ص ص ٢٧١٩ - ٢٧٥٢ (رجب ١٤٤١هـ / مارس ٢٠٢٠م)

-تعالى الله عن قوله-[٦٤]، لذا فنزعة الأنسنة تعارض أصل التدين والتوجه إلى الخالق بالتأله والعبودية.

٤- من الناحية اللغوية فعلم الكلام القديم يصطبغ بطابع الأسطورة، بينما الكلام الجديد يسعى لنزع البعد الأسطوري عن الدين ليتوافق مع العصر الحديث؛ لأن أفكار إنسان العصر الحديث ولغته ليست أسطورية، وهذه الفكرة أخذها شبستري تحديداً عن بولتمان، حيث كان بولتمان يشدد على ضرورة استبعاد اللغة الأسطورية عن الإلهيات بالكامل، وبذلك يمكن رفع التضارب بين المقدمات المعرفية الخاصة بالوعي الديني، والمقدمات المعرفية ذات الصلة بالواقع الاجتماعي السائد في عصر الحداثة، كما أنه بذلك تكون المضامين الدينية للوعي الذهني للإنسان المسيحي ومقدماته الذهنية المعرفية غير أسطورية[٦٥].

نلاحظ في هذه النقطة أن المتكلمين الجدد وصفوا علم الكلام القديم بأنه يصطبغ بالأسطورة، وهذه الفكرة موجودة عند عامة الحداثيين، وهي عندهم ليست مقصورة على الكلام، بل تعدوا ذلك إلى أن وصفوا القرآن بذلك، كما وقع عند طه حسين وأركون وغيرهم، ووصف القرآن بأنه يتضمن الأسطورة أو أن في حكاياته أساطير مأخوذة من الإلهيات المسيحية الحديثة، والتي تلقفتها من الاتجاه الوضعي الذي ساد في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، وقد فات عليهم أن الكتاب المقدس لدى النصارى قد طاله التحريف، فإذا وقعت فيه الأسطورة جراء التنقيحات المتأخرة فلا ينسحب هذا الأمر على القرآن الذي تكفل الله بحفظه، والذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، والحديث عن هذه النقطة وبيان معاني الأسطورة وتفنيد دعاوى الحداثيين بحاجةٍ إلى مجالٍ أوسع، ولعلي هنا أكتفي بمجرد الإشارة إلى أساس الإشكالية[٦٦].

٥- من ناحية الطبيعيات فإن طبيعيات الكلام الكلاسيكي إلهية أنطلوجية، بمعنى أنها تبحث في المقدمات الوجودية للوصول إلى إثبات وجود الله، بينما الكلام الجديد يريد يستبدل هذه المهمة وينقل الطبيعيات الكلامية إلى مجالٍ آخر تماماً، وهو مجال الابستملوجيا، وهذا يقتضي قطيعة معرفية مع الطبيعيات الكلاسيكية، ذلك أن ابستملوجيا الطبيعيات هي الحلبة الكبرى للفعالية الإنسانية والتغير المتوالي والتقدم المطرد، بمعنى آخر أن الطبيعيات في علم الكلام القديم كان مقدمةً للبرهنة على وجود الله، ووسيلة لإثبات عقيدة التوحيد، والكلام الجديد يعكس المسألة، بحيث ينطلق من الإيمان بالله كعقيدةٍ قارة في النفس البشرية، ويتخذها مقدمةً لإثبات العالم، ووسيلة للخوض في اكتشاف الطبيعة والسيطرة عليها وتوطين الروح

---

(٦٤) انظر: أصل الدين، فيورباخ، دراسة وترجمة د. أحمد عبد الحليم عطية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ١٤١١هـ، ص١٧,٢٠,٧٨.

(٦٥) انظر: تأملات في القراءة الإنسانية للدين ص٣٧.

(٦٦) انظر: العلمانيون والقرآن الكريم د. أحمد الطعان ص٥٥٩.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (٤)، ص ص ٢٧١٩ - ٢٧٥٢ (رجب ١٤٤١هـ / مارس ٢٠٢٠م)

العلمية(٦٧).

وعند هذه النقطة تحديداً يتخذها د. حسن حنفي فرصةً لتمرير الأفكار التي يريد بثها في المسلمين، حيث فهم من تسمية المتكلمين للقضايا الطبيعية بالأمور العامة فرصةً لاستبدالها بالثقافة السائدة اليوم، فمسائل من قبيل الجواهر والأعراض ونحوها كانت عبارةً عن مفاهيم سائدة في الثقافة القديمة، أما الآن فقد تغيرت الأحوال، وساد في هذا العصر مفاهيم الحرية والتقدم ونحوها، يقول د. حسن حنفي: (ولما كانت هذه الصور الدينية ليست وليدة البيئة الثقافية المعاصرة، فإنه لزم ملؤها بمادةٍ معاصرة، حتى يمكن أن تعبر عن مضمونٍ معاصر ... إن الأمور العامة اليوم ليست هي أفكار الوجود والعدم والماهية، والجوهر والعرض، الواحد والكثير، العلة والمعلول، الوجوب والإمكان، القدم والحدوث، إلخ، فقد كانت هي المفاهيم السائدة في الثقافة القديمة، بعد ترجمة الثقافة العصرية آنذاك، وكان مصدرها الرئيسي من اليونان، أما اليوم فقد أصبحت أفكار الحرية والعدالة والمساواة والتحرر والتقدم والنهضة، بل والثورة والتغير الاجتماعي، هي الأفكار السائدة في ثقافتنا المعاصرة منذ فجر نهضتنا الحديثة والتي أصبحت جزءاً من الثقافة العصرية ... وكما عبرت الأمور العامة القديمة عن مقتضيات ثقافتنا القديمة وحاجتها فإن الأفكار المعاصرة تعبر أيضاً عن مقتضيات ثقافتنا الحالية وحاجات مجتمعاتنا المعاصرة)(٦٨).

وهنا أيضاً نجد أن الحداثيين قد تمسكوا بالمصطلح التراثي ومرروا من خلاله المفاهيم الحداثية، بينما سياق المصطلح في المنظومة الكلامية لا يخدمهم بتاتاً، ذلك أن الأمور العامة والمقدمات الطبيعية لها مفهوم خاص ووظيفة معينة في علم الكلام، فهي مسوقة للتدليل على حدث العالم وأن له صانعاً هو الله تعالى، ومع التحفظ على هذه الطريقة وما فيها من إشكالات منهجية إلا أن الحداثيين قد فهموا الأمر على غير محمله، ولا علاقة البتة بين المقدمات الطبيعية في الجواهر والأعراض ونحوها وبين مفاهيم الحداثة والحرية أو مفاهيم الابستملوجيا المعاصرة، ولعل هذا قد وقع لديهم من جراء الهرمنيوطيقا الرمزية التي تذهب بعيداً في تأويل المعاني دون أسس علمية.

٦- من ناحية الوثوقية فإن الكلام القديم يعاني من النزعة اليقينية، وقد ساهم في ذلك تغلغل المنطق الأرسطي وغيره من العوامل، فالكلام القديم وفق تصوره لليقين ووسائل الإثبات ساهم في تكوين عقل دوغمائي(٦٩) جزمي، ينفي الآخر بمجرد

(٦٧) انظر: الطبيعيات في علم الكلام من الماضي إلى المستقبل، د. يمنى طريف الخولي، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، ص٤٥,٩٥.

(٦٨) من العقيدة إلى الثورة، د. حسن حنفي، دار التنوير للطباعة والنشر - المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر، الطبعة الأولى ١٩٨٨م، ٩٣/١-٩٤.

(٦٩) مصطلح يطلق على ما يتسم بالوثوقية الاعتقادية، ومن بعد كانط خصص المصطلح بأنه الادعاء بالمباشرة على أساس معرفة محضة،

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (٤)، ص ص ٢٧١٩ – ٢٧٥٢ (رجب ١٤٤١هـ / مارس ٢٠٢٠م)

إثبات ذاته، نفياً غير قابل لاحتمال الخلاف، وبحسب أصحاب الكلام الجديد فإنهم يرون أن الكلام القديم قد تشبع بالنزعة الدوغمائية المشبعة بشيءٍ من النرجسية، ويتم ملاحظة ذلك بأدنى تصفح للمتون الكلامية الكلاسيكية، وبخاصة تلك المتون ذات الطابع المذهبي الخالص، في حين يرى أصحاب الكلام الجديد لزوم التخلص من العقل الدوغمائي، واستبداله بالعقل التعددي المنفتح الاحتمالي الذي يوسع من هامش التنقل العلمي والمعرفي(٧٠).

إن الحديث في مجال العقائد يلزم منه الوثوقية في الأعم الأغلب، ذلك أن المجال في مناقشة قضايا إيمانية قلبية لا تحتمل الظن أو الشك ليقينية دلائلها، لذا فلا غرو أن يتسم علم الكلام القديم بالوثوقية، وهي ليست عيباً في هذا المجال، أما دعوى التعددية والتنوع فهذا نتيجة عدم الانطلاق من قاعدة إيمانية راسخة، وهي أثر النسبية وعدم ثبات الحقائق التي شاعت في فكر ما بعد الحداثة.

* الخاتمة وأبرز النتائج والتوصيات:

بعد العرض المجمل لعلم الكلام الجديد في الفكر الإيراني الحديث نصل إلى نتائج مهمة، يمكن تسجيلها وفق النقاط التالية:

١- قد نهى السلف قديماً عن علم الكلام، وذموه منذ نشأته؛ باعتباره علماً مولداً من الفلسفة، فهو ذو جذور غريبة عن طبيعة المنهج الإسلامي، وإذا كان المسلمون في سابق عصرهم لم يضف لهم علم الكلام شيئاً، بل أفسد عقيدة كثيرٍ من الناس، حتى تراجع كثيرٌ من المتكلمين عن عقائدهم، وأبدوا أسفهم وندمهم على عمرهم الذي ضاع في بحوثهم الكلامية طويلة الذيل بعيدة النيل، وتعرض علم الكلام إلى مشاريع نقدية كبيرة كشفت عن الخلل في مكوناته وبنيته، كما فعل ابن رشد وابن تيمية وغيرهم، لذا فالمسلمون اليوم كما أنهم لم يحتاجوا علم الكلام القديم فكذلك ليسوا بحاجةٍ إلى علم الكلام الجديد، بل هم بأمس الحاجة إلى الرجوع للمنبع الصافي والمورد النقي الكتاب والسنة، لكل ما يخص دينهم في عقيدته وشريعته، فهما العلاج لكل داءٍ يحل بالمسلمين قديماً وحديثاً.

مستفادة من مفاهيم عادية كالمعرفة الفلسفية مثلاً، ومستندة إلى أسس مثل المبادئ التي يستعملها العقل منذ أمدٍ بعيد، دون البحث عن طريقةٍ توصله إلى إقرارها. انظر: موسوعة لالاند الفلسفية ١/٢٩٥-٢٩٧.

(٧٠) انظر: مسألة المنهج في الفكر الديني وقفات وملاحظات، حيدر حب الله، مؤسسة الانتشار العربي، الطبعة الأولى ٢٠٠٧م، ص٢٥٢.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (٤)، ص ص ٢٧١٩ - ٢٧٥٢ (رجب ١٤٤١هـ / مارس ٢٠٢٠م)

٢- قد كانت فكرة تجديد علم الكلام عند رواد النهضة فكرةً مهمة، ودالةً على عمق انتمائهم للدين وحرصهم على عقائد المسلمين وألا تتعرض تصوراتهم وأفكارهم للتقويض، فهم قد قاموا بالتصدي ومواجهة الأفكار المنحرفة كنظرية دارون وغيرها، والمفارقة أن الذي حصل في الكلام الجديد عند المفكرين الإيرانيين الإيهام بالانتساب لرواد النهضة واستكمال مسيرتهم التجديدية، والذي حصل عندهم عكس ذلك تماماً، فبدل أن يدرسوا الأفكار الغربية المنحرفة للمناقشة والرد تشربوها على علاتها وبثّوها في المسلمين، فلم يقوموا بالدفاع عن العقيدة الإسلامية، وإنما حقيقة ما فعلوه هو سلخ الدين عن مضمونه، والنتيجة من ذلك أنه لا يصح تسمية عملهم "علم كلام"؛ لأن خاصة علم الكلام وصفته الذاتية التي لا ينفك عنها هي الدفاع عن العقائد الدينية، وهذا مفقود في الكلام الجديد.

٣- علم الكلام الجديد بعد فحصه والكشف عن مضامين دلالاته لا يعدو عن أن يكون تفريغاً للدين عن محتواه، بحيث تكون كل الأمور نسبية، الأصول والفروع في ذلك سواء؛ بناءً على فكرتهم في أن لغة الدين تاريخية ونقدية، فلا وجود للثبات في لغة الدين، وإنما هي النسبية، فتفهم في كل زمانٍ بحسبه، ولا شك أن هذا يعني إبطال الدين، وأن كل العقائد يمكن للإنسان التخلي عنها مع صحة بقاء وصفه منتسباً إلى الدين!

٤- لم يفرق أصحاب الكلام الجديد بين الظروف والسياقات المحتفة بالديانة النصرانية المحرفة التي أوجبت للمتألهين المسيحيين الجدد الإيغال في تأويلها من خلال الهرمنيوطيقا وغيرها، وبين الإسلام الذي هو خاتم الأديان وكتابه محفوظ بحفظ الله له، فإذا كانت الإلهيات المسيحية الحديثة مناسبة للبيئة الغربية وواقع دينهم المحرف وقبوله للممارسات التأويلية الهرمنيوطيقية فإنه لا يصح والحالة هذه نقله للإسلام؛ للفوارق الموضوعية الشاسعة بين حال الديانتين.

٥- ادعى أصحاب علم الكلام الجديد قيامهم بالتجديد، وهم في حقيقة الأمر ليسوا سوى نقله أمناء للفكر الغربي، ولم يكن لهم دور سوى التعريب والدعوة إلى هذه الأفكار في السياق الإسلامي، كما أنهم لم يأخذوا المفيد من الفكر الغربي، وإنما استوردوا أخطر ما في الفكر الغربي مما يمس مقام الألوهية والدين، فمثلاً حينما نادوا باستبدال تمركز علم الكلام على الله وانتقاله إلى الإنسان وجعل علم الكلام دنيوياً، فهذه الفكرة مصدرها نظرية الأنسنة في الفكر الغربي، والتي من دورها إقصاء الإله عن محور الكون وإحلال الإنسان محله، وهذا ما عابه عليهم أحد المنتسبين إليهم وهو الباحث حيدر حب الله، حيث قال: (أما الكلام الجديد فهو يعيش في إشكاليةٍ غاية في التعقيد على هذا المستوى، والسبب في ذلك يعود إلى أن المتكلم الإسلامي لم يشارك في صنع الحداثة ولم يخلق مفاهيمها ومقولاتها، ومن هنا تورط في استيرادٍ متواصل للمفاهيم والمصطلحات، وأرهق نفسه في تتبعها في عملية شرحٍ وتفسير وتبيئة وتوظيف لما ينتجه الغربي، بقطع النظر عن مدى الصوابية في هذا

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (٤)، ص ص ٢٧١٩ - ٢٧٥٢ (رجب ١٤٤١هـ / مارس ٢٠٢٠م)

الإنتاج)[٧١].

٦- وقع أصحاب الكلام الجديد ضحية الانبهار التام بالغرب، فهم لم يقوموا بفحص مقولات اللاهوت البروتستانتي الحديث ويحللوا مضامينه بحيث يفرز المناسب من غيره، وإنما قبلوا كل ما فيه، ولم يفرقوا بين ما يؤخذ من الغرب في جانب المكتشفات العلمية الحديثة المفيدة للإنسان العصري وبين المفاهيم والأفكار التي تمس العقيدة وتهدد بقاء الدين.

٧- يشترك المتكلمون الإيرانيون الجدد في نظرتهم الحداثوية للدين مع عموم أصحاب المشاريع الحداثية العربية، مثل مُحَمَّد أركون وحسن حنفي وغيرهم، غير أن الإيرانيين قد وصموا دراساتهم بعلم الكلام الجديد إيهاماً وتلبيساً، مع الضخ المكثف للإصدارات والموسوعات والندوات لتسويق الفكرة، وإلا فمن ناحية المضمون فهم يشتركون مع بعض الحداثيين العرب، لذا فالقاسم المشترك بين أصحاب الكلام الجديد على تعددهم واختلاف آرائهم ومشاربهم هو النظرة الحداثوية للدين[٧٢].

* في ختام هذا البحث الموجز أوصي بقيام دراسات علمية أكاديمية تعنى بدراسة علم الكلام الجديد، ودراسة شخصياته، وفحص مضامين دعوتهم، والكشف عن جذورها الفلسفية في الفكر الغربي، وبيان ارتباطها بنظريات الحداثة والإلهيات المسيحية الحديثة، ومناقشتها مناقشةً مستفيضة، وفق مرجعيةٍ تعتمد منهج أهل السنة والجماعة؛ لما للموضوع من أهميةٍ بالغة، خصوصاً وأن هذه الأفكار تنتشر وتتمدد في عموم الأوساط الثقافية العربية.

---

(٧١) مسألة المنهج في الفكر الديني وقفات وملاحظات ص٢٤٩-٢٥٠.

(٧٢) انظر: ما يعد به علم الكلام الجديد لمصطفى ملكيان ص٤٦٨، ضمن علم الكلام الجديد من إعداد وتحرير عبد الجبار الرفاعي.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (٤)، ص ص ٢٧١٩ – ٢٧٥٢ (رجب ١٤٤١هـ / مارس ٢٠٢٠م)

* Summary of research "Introduction to the new science of speech in modern Iranian thought"

* Preparation: Dr. Maher bin Abdul Aziz Al - Shebl
Assistant Professor, Department of Contemporary Creed and Doctrines, Faculty of Sharia and Islamic Studies, AL Qassim University
m.alshebl@qu.edu.sa

The signs of calling for the renewal of the science of speech emerged at the end of the nineteenth century AD, and the banner of the call for renewal was carried by a group of pioneers of the modern reformist Renaissance, and their motivation for this concern on the doctrines of Muslims to be touched by some of the pollutants and suspicions of modern Western philosophy, As a result of the emergence of new philosophies in Western thought.
However, the paradox lies in the emergence of Iranian intellectuals active in research and writing in the field of the new science of speech, and after examination and disclosure of its structure and its beginnings if it is not related to the slogan of renewing the science of speech when the reformers of the link, because the Iranian researchers have imported the methodologies of Christian theology and modern Protestant theology, And they left the content of the Christian and replaced it with the Islamic component, they called their work that "new science of speech," and they started from the perceptions of a competent religion, so their work to subject religion to the arguments of modernity, and used the same methodological tools used by Western philosophers Tja Their holy book ،The result is that the Islamic religion has ceased to be content, and the doctrines and teachings of Muslims are renewable and modernized according to the requirements of Western civilization.
In conclusion, I recommend the establishment of specialized academic studies to reveal this idea, and explain the basis and methods, and criticism according to the curriculum of the predecessor.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (٤)، ص ص ٢٧١٩ - ٢٧٥٢ (رجب ١٤٤١هـ / مارس ٢٠٢٠م)

فهرس المصادر والمراجع

١- اتجاهات الفكر الديني المعاصر في إيران، مجيد مُحَمَّدي، ترجمة ص.حسين، مراجعة صادق العبادي، المعهد العالمي للفكر الإسلامي - الشبكة العربية للأبحاث والنشر، الطبعة الأولى ٢٠١٠م.

٢- الاجتهاد الكلامي مناهج ورؤى متنوعة في الكلام الجديد، مجموعة من الباحثين، دار الهادي.

٣- الإسلام يتحدى، مدخل علمي إلى الإيمان، وحيد الدين خان، ترجمة ظفر الإسلام خان، مراجعة وتقديم د. عبد الصبور شاهين، دار كتاب المختار الإسلامي، الطبعة الثامنة ١٩٨٤م.

٤- أصل الدين، فيورباخ، دراسة وترجمة د. أحمد عبد الحليم عطية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ١٤١١هـ.

٥- البصائر النصيرية في علم المنطق، عمر بن سهلان الساوي، شرح وتعليق مُحَمَّد عبده، ضبط وتقديم د. عبد الأمير الأعسم، دار الفكر اللبناني، الطبعة الأولى ١٩٩٣م.

٦- تاريخ الفلسفة الغربية، برتراند رسل، ترجمة د. مُحَمَّد فتحي الشنيطي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠١٢م.

٧- تأملات في القراءة الإنسانية للدين، مُحَمَّد مجتهد شبستري، ترجمة حيدر نجف، مراجعة عبد الجبار الرفاعي، دار التنوير للطباعة والنشر - مركز دراسات فلسفة الدين، الطبعة الأولى ٢٠١٤م.

٨- تجديد الدين، وحيد الدين خان، ترجمة د. ظفر الإسلام خان، دار الصحوة للنشر والتوزيع، ١٩٩٨م.

٩- تجديد الفكر الديني في الإسلام، مُحَمَّد إقبال، ترجمة مُحَمَّد يوسف عدس، تقديم الشيماء الدمرمداش العقالي، دار الكتاب المصري - دار الكتاب اللبناني، الطبعة الأولى ١٤٣٢-١٤٣٣هـ.

١٠- تشكيل العقل الحديث، كرين برينتون، ترجمة شوقي جلال، مراجعة صدقي حطاب، عالم المعرفة، ١٤٠٥هـ.

١١- جدل السياسة والدين والمعرفة، مُحَمَّد بوهلال، جداول للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ٢٠١١م.

١٢- الحداثة، دفاتر فلسفية نصوص مختارة، إعداد وترجمة مُحَمَّد سبيلا وعبد السلام بنعبد العالي، دار توبقال للنشر، الطبعة الثالثة ٢٠٠٨م.

١٣- الدرس العقدي المعاصر، قراءة تحليلية للدرس العقدي عند السلفية والأشعرية والشيعة، عمرو بسيوني، مركز نماء

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (٤)، ص ص ٢٧١٩ - ٢٧٥٢ (رجب ١٤٤١هـ / مارس ٢٠٢٠م)

للبحوث والدراسات، الطبعة الأولى ٢٠١٥م.

١٤- الطبيعيات في علم الكلام من الماضي إلى المستقبل، د. يمنى طريف الخولي، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة.

١٥- ظاهرة التأويل الحديثة في الفكر العربي المعاصر، دراسة نقدية إسلامية، د. خالد السيف، مركز التأصيل للدراسات والبحوث، الطبعة الأولى ١٤٣١هـ.

١٦- العقلانية الإسلامية والكلام الجديد، مجموعة من الباحثين، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، الطبعة الأولى ٢٠٠٨م.

١٧- علم الكلام الجديد، شبلي النعماني الهندي، ترجمة وتقديم جلال السعيد الحفناوي، مراجعة السباعي مُحَمَّد السباعي، المركز القومي للترجمة، الطبعة الأولى ٢٠١٢م.

١٨- علم الكلام الجديد مدخل لدراسة اللاهوت الجديد وجدل العلم والدين، إعداد وتحرير د. عبد الجبار الرفاعي، دار التنوير للطباعة والنشر - مركز دراسات فلسفة الدين، الطبعة الأولى ٢٠١٦م.

١٩- العلمانيون والقرآن الكريم، د. أحمد الطعان، مكتبة ودار ابن حزم للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ١٤٢٨هـ.

٢٠- الفلسفة الألمانية في القرن العشرين، فرنر شنيدرس، ترجمة محسن الدمرداش، المشروع القومي للترجمة، الطبعة الأولى ٢٠٠٥م.

٢١- فلسفة الدين، مارتن.و.ف.ستون، ترجمة سهيل نجم، مراجعة وتقديم أ.م.د. علي عبود المحمداوي، صفحات للدراسات والنشر - دار ومكتبة قناديل للنشر والتوزيع، الطبعة الولى ٢٠١٧م.

٢٢- فلسفة الدين، مقول المقدس بين الإيديولوجيا واليوتوبيا وسؤال التعددية، مجموعة مؤلفين، إشراف وتحرير د. علي عبود المحمداوي، منشورات ضفاف، منشورات الاختلاف، دار الأمان، الطبعة الأولى ١٤٣٣هـ.

٢٣- قولٌ في التجديد، د. حسن الشافعي، مجلس حكماء المسلمين - دار القدس العربي، الطبعة الأولى ١٤٣٧هـ.

٢٤- مجلة أبحاث البصرة - العلوم الإنسانية، مجلد ٣٦، عدد ٢، جامعة البصرة - كلية التربية للعلوم الإنسانية، ٢٠١١م.

٢٥- مجلة قضايا إسلامية معاصرة، مجلة متخصصة تعنى بالهموم الفكرية للمسلم المعاصر، السنة الثامنة عشرة، العدد ٥٩-٦٠، ٢٠١٤م، رئيس التحرير د. عبد الجبار الرفاعي، مركز دراسات فلسفة الدين - بغداد.

٢٦- مدخل إلى علم الكلام الجديد، مُحَمَّد مجتهد شبستري، دار الهادي، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (٤)، ص ص ٢٧١٩ - ٢٧٥٢ (رجب ١٤٤١هـ / مارس ٢٠٢٠م)

٢٧- مسألة المنهج في الفكر الديني وقفات وملاحظات، حيدر حب الله، مؤسسة الانتشار العربي، الطبعة الأولى ٢٠٠٧م.

٢٨- المعرفة الدينية عند عبد الكريم سروش، دراسة نقدية في ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة، عبد الله الركف، رسالة ماجستير، جامعة القصيم، ١٤٣٧هـ.

٢٩- المقدمة، ابن خلدون، تحقيق د. علي عبد الواحد وافي، مكتبة نهضة مصر، الطبعة الرابعة ٢٠٠٦هـ.

٣٠- المواقف في علم الكلام، الإيجي، تحقيق د. عبد الرحمن عميرة، دار الجيل، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ.

٣١- من العقيدة إلى الثورة، د. حسن حنفي، دار التنوير للطباعة والنشر - المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر، الطبعة الأولى ١٩٨٨م.

٣٢- موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، نموذج تفسيري جديد، عبد الوهاب مُحَمَّد المسيري، دار الشروق، الطبعة الأولى ١٩٩٩م.

٣٣- موسوعة لالاند الفلسفية، أندريه لالاند، دار عويدات، ٢٠١٢م.

٣٤- الميزان في تفسير القرآن، السيد مُحَمَّد حسين الطبطبائي، صححه وأشرف على طباعته حسين الأعلمي، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، الطبعة الأولى ١٩٩٧م.

٣٥- نشر الطوالع، المرعشي، تحقيق مُحَمَّد يوسف إدريس، دار النور المبين، الطبعة الأولى ١٤٣٢هـ.

٣٦- الهرمينوطيقا الفلسفية وهرمينوطيقا النص الديني عند بول ريكور، مصطفى العارف، مؤمنون بلا حدود، الطبعة الأولى ٢٠١٨م.

٣٧- الهرمنيوطيقا الكتاب والسنة، مُحَمَّد مجتهد شبستري، ترجمة حيدر نجف، مراجعة عبد الجبار الرفاعي، مركز دراسات فلسفة الدين، دار التنوير للطباعة والنشر، الطبعة الأولى ٢٠١٣م.

٣٨- الهندسة المعرفية للكلام الجديد، د. أحد قراملكي، ترجمة حيدر نجف وحسن العمري، مراجعة عبد الجبار الرفاعي، دار الهادي، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ.

٣٩- الوجودية الدينية، دراسة في فلسفة باول تيليش، د. يمنى طريف الخولي، دار قباء للطباعة والنشر، ١٩٩٨م.